الأصول المنهجية
لمقارنة الأديان عند الإمام ابن حزم
(٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ) (٩٩٤ – ١٠٦٤ م)

دكتور

أحمد حامد أحمد حامد دسوقي

حاصل على دكتوراة من كلية الدراسات الأسيوية والبحوث
جامعة الزقازيق

الأصول المنهجية لمقارنة الأديان عند الإمام ابن حزم

أحمد حامد أحمد حامد دسوقى

مديرية الأوقاف بالشرقية – وزارة الأوقاف – مصر

البريد الالكترونى : ahmedhamed2133@gmail.com

الملخص:

تميزت طريقة الإمام ابن حزم فى تصانيفه بالتنوع والانتقال من مصدر إلى مصدر ومن طريقة إلى طريقة ، مما يدل على سعة تبحره فى علوم عدة ، وانتقاله من مصادر نقلية وأخرى عقلية دون الخلل بمناهج البحث التى ألزم نفسه بها دليل على قوة بحثه ومنطقه مع صبر فى عرض الدليل واستنباط الأحكام منه ، فأحدث نوعاً من التحديث المعاصر للفقيه المتمكن ، والمجادل العنيد ، فتارة يتكلم عن أصول الفقه وأدلته فتجده بحراً زاخراً كما فى كتابه : " الإحكام " وتارة مجادلاً عنيداً كما فى كتابه : " المدخل فى علم المنطق " وتارة مفكراً تعتريه قوة المنطق مع دحض الشبهات ورد الشبهة بالدليل القاطع دون مماراة أو تزييف كما فى كتابه : " الفصل فى الملل والنحل " ، والبحث يحتوى على ما يزيد عن خمسين صفحة ، ثم أتبعت البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج المستخلصة وقائمة المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية: الأصول ، المنهجية ، مقارنة ، الأديان ، ابن حزم .

Methodological principles for comparing religions for Imam Ibn Hazm (384 - 456 A.H.)

Ahmed Hamed Ahmed Hamid Desouki.

Diretorate of in Sharqia – Ministry of Endowments – Egypt .

Religions Comparison Department – Zagazig – Al-Azhar University – Egypt.

Email: ahmedhamed2133@gmail.com

Abstract:

The method of Imam Ibn Hazm was distinguished in his classifications by diversity and the transition from source to source and method to method, which indicates the capacity for his navigating several sciences, and his transfer from transmission and mental sources without defecting the research methodologies to which he committed himself as evidence of the strength of his research and his logic with patience in presenting Evidence and derive judgments from it,So he created a kind of contemporary modernization of an able jurist and a stubborn argument. Sometimes he talks about the fundamentals of jurisprudence and its evidence, and you find it in a rich sea, as in his book: "Al-Hakam", sometimes a stubborn argument as in his book: "Introduction to the Science of Logic" and sometimes a thinker struggling with the power of

logic while refuting suspicions and rejecting suspicion By unequivocal evidence, without exercise or falsification, as in his book: “Separation on the promises and the bees.” The research contains more than fifty pages, and then the research was followed by a conclusion that included the most important conclusions drawn and a list of sources and references.

keywords: Origins , Methodology , Comparison , Religions , Ibn Hazm .

الـمقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين صلاة وسلاماً يليقان بمقامه الكريم، ويرفعان له أعلى درجات التكريم أما بعد :

فلا شك أن الإسلام عند مجيئه ، أعلن أنه الحلقة الأخيرة في سلسلة الأديان ، وأنه بالتالي ورث أهم ما في الأديان ، وأضاف إلى ذلك ما تحتاجه البشرية في مسيرتها إلى يوم الدين .

وكان من أبرز علماء مقارنة الأديان فى الأندلس الإمام **ابن حزم الاندلسى** (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ) – رحمه الله – والذي كان من أوائل العلماء الذين برعوا في علم مقارنة الأديان وكتابه : (الفصل في الملل والنحل) أكبر شاهد على فصاحته وقوة منطقه وانفتاحه على الآخر ، ومحاورته والتواصل معه ، وهي خطوة جريئة إذا ما نظرنا إليها في ضوء مقاييس ذلك العصر، وتطلع الإمام ابن حزم إلى مقارنة الإسلام بغيره من الديانات ، ولاسيما الديانتين المسيحية واليهودية ، وانتقاله إلى دراسة الأديان من مستوى الوصف إلى مستوى أعمق ألا وهو مستوى النقد الصريح للتوراة ولأسفار العهدين القديم والجديد والفرق المعاصرة له ، وهذا لُب منهجه الذي كان فاتحة علم مقارنة الأديان والنظر فيها .

أما المصادر التى استقى منها الإمام ابن حزم معلوماته وتصنيفاته فكانت كثيرة جداً مما يدل على سعة تبحره فى علوم عدة ، وانتقاله من مصادر نقلية وأخرى عقلية دون الخلل بمناهج البحث التى ألزم نفسه بها دليل على قوة بحثه ومنطقه مع صبر فى عرض الدليل واستنباط الأحكام منه .

فأحدث نوعاً من التحديث المعاصر للفقيه المتمكن ، والمجادل العنيد ، فتارة يتكلم عن أصول الفقه وأدلته فتجده بحراً زاخراً كما فى كتابه : " الإحكام " وتارة مجادلاً عنيداً كما فى كتابه : " المدخل فى علم المنطق " وتارة مفكراً تعتريه قوة المنطق مع دحض الشبهات ورد الشبهة بالدليل القاطع دون مماراة أو تزييف كما فى كتابه : " الفصل " .

وسنقوم بشرح وبيان المصادر النقلية (كالقرآن والسنة والإجماع والدليل) – والعقلية كـ (كالكتب والمكتبات والأشخاص وحركة الترجمة والمدارس الفلسفية) – التى اعتمد عليها الإمام فى تصنيفاته،وهذا ما سأبينه فى هذا البحث بعون الله .

أولاً : أسباب اختيار البحث :

١– حيث يشكل هذا العنوان قضيّة هامّة تشغل بال معظم الباحثين في المجتمع، ويعتبر من أبرز الأسباب التي تقف وراء اختيار موضوعات الدراسات بشكل عام بغضّ النظر عن أنواع البحوث

٢– أن يضيف البحث في هذه القضيّة شيئاً للمعرفة العلميّة ، من خلال اكتشاف معارف جديدة والتوصّل إلى حقيقة أو قاعدة لم يتمّ التوصل إليها مسبقاً ، أو يضيف شيئاً جديداً لحقيقة توصل إليها العلماء أو الباحثون مسبقاً في مجالٍ معينٍ ، أو بسبب فتح آفاقٍ جديدةٍ للأبحاث العلميّة الأخرى .

ثانياً : أهداف البحث :

يسعى البحث إلى تحقيق عدة أهداف ، منها :

١– إظهار جهود الإمام ابن حزم في مناهج البحث العلمى .

٢– فتح المجال أمام الباحثين لدراسة موضوعات أخرى متعلقة بهذا الجانب من إنتاج هذا العالم الجليل .

٣- الوقوف على القواعد المنهجية العلمية والخطوات العملية التي سار عليها ابن حزم في اعتماده على مصادر عقلية ونقلية

ثالثاً : أسئلة البحث

١- كم عدد المصادر المنهجية التى اعتمد عليها الإمام ابن حزم ؟

٢- ما هى أهم النتائج التى توصل اليها الإمام ابن حزم فى اعتماده على مصادر عقلية ونقلية ؟

٣- ما هو المنهج الذى اتبعه الإمام ابن حزم فى اعتماده على مصادر عقلية ونقلية ؟

رابعاً : مشكلات البحث

١- قلة المراجع الأجنبية فى الكلام عن ابن حزم وفكره

٢- انفصال الإمام ابن حزم عن منهج الائمة الأربعة فكراً وفقهاً

٣- انفراد الإمام ابن حزم بآراء مغايرة لما كان عليه الجمهور من العلماء والفقهاء

خامساً : الدراسات السابقة :

مع تعدد الدراسات والبحوث التي أفردت للعلامة ابن حزم بصفة خاصة ، وعلم مقارنة الأديان بصفة عامة في جميع الجوانب النقدية والتاريخية .

إلا أن هذه البحث لم يكن صدى للدراسات السابقة ، فهو يختلف عن سابقيه في أهداف البحث ، ومقاصده ، وعناصره ، ونتائجه ، ومنهج البحث .

ومن الدراسات السابقة لهذا البحث ما يلى :

أ : الرسائل العلمية :

١- (المنهج الظاهري في العقائد عند ابن حزم) للباحث : / سعيد بنكروم محمد - : ماجستير ، إشراف كلاً من : د / عبد اللطيف محمد ، د / محمد العيد ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦ م .

٢- (قواعد المنهج عند ابن حزم الأندلسي) للباحث : / المهدي عياد الصابري - : دكتوراه ، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

٣- (المنهج النقدي عند ابن حزم) ، للباحث : / فهمي محمد علوان علي عوده - : رسالة دكتوراه .

بين فيها الباحث المنهج النقدى للإمام ابن حزم ، وأهمل باقى المناهج التى استخدمها الإمام ابن حزم فى كتاباته ومصنفاته .

٤ - عبدالله بن عبدالله الزايد: ابن حزم الأصولي ، رسالة دكتوراه بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر بالقاهرة .

ب : كتب

١- (الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس) ، د / خالد عبد الحليم السيوطي ، دار قباء القاهرة ٢٠٠١ م.

٢- كتاب " الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس (ابن حزم-الخزرجي) " تأليف د. خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي ، طبعة مكتبة الأسكندرية ، وطبعة دار قباء بالقاهرة ، رقم ايداع الكتاب ٢٠٠١م / ٢٥٩٥

وكل دراسة من هذه الدراسات ، تعرضت لجزئية من جزئيات هذا الموضوع ، وهى في الغالب لم تجمع بين تعدد المناهج وبين استخراج مدى الجهد المبذول من الإمام لنقد الأديان السابقة بقصد الدفاع عن الإسلام .

وإن كنت قد حاولت الاستفادة من الدراسات السابقة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

رابعاً : منهجى فى البحث

سأسير بتوفيق الله تعالى حسب الخطوات التالية :

١- الالتزام بالمنهج العلمي بالرجوع إلى المصادر الأصلية ، واتباع خطوات البحث العلمي ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

٢- استخدمت في هذا البحث غير واحد من مناهج البحث العلمي ، حيث استخدمت المنهج (الاستقرائي الناقص – والذى يقوم على الملاحظة ، وتتبع الجزئيات) ، والذى يتلاءم ويتناسب مع طبيعة الموضوع المختار

٣- حيث قمت باستقراء أقوال الإمام ابن حزم وتتبعه لمناهج بحث مختلفة ، مثل :

(المنهج التاريخي ، والنقدي ، والجدلي ، وكذلك المنهج اللغوي ، وغيرهم من المناهج).

٤- الاجتهاد أن تكون الدراسة لمنهج الإمام ابن حزم – رحمه الله – ليست مجرد ذكر مصادره المنهجية بل بتوصيف منهجه بذكر القواعد المنهجية الكبرى والرجوع إلى مصادره فى ذلك .

ثم استخدام المنهج النقدي فى الآراء التى انفرد بها العلامة ابن حزم ، مخالفاً بذلك ما اتفق عليه الجمهور ، مع بيان العلة من المخالفة ، ومدى قربه وبعده من الأسس والمبادئ التي بني عليها أهل السنة مذهبهم وطريقتهم .

٥- التعريف بالمصطلحات العلمية ، والألفاظ الغريبة التى وردت فى البحث .

٦- إذا أطلقت لفظ الإمام فإنما قصدت به الإمام ابن حزم – رحمه الله تعالى –.

خطة البحث

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتكون من مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث (وفى كل مبحث مطلبان) ، وخاتمة ، وفهارس .

المبحث الأول : **الإمام ابن حزم ، ترجمته ، ومكانته العلمية**

المطلب الأول : ترجمة الإمام ابن حزم رحمه الله

المطلب الثاني : مكانة الإمام ابن حزم العلمية

المبحث الثاني : **الأصول المنهجية النقلية للإمام ابن حزم**

المطلب الأول : المصادر العامة للإمام ابن حزم

المطلب الثاني : المصادر الخاصة للإمام ابن حزم

المبحث الثالث : **الأصول المنهجية العقلية للإمام ابن حزم**

المطلب الأول : المدارس الفلسفية.

المطلب الثاني : حركة الترجمة فى الأندلس

وبعد الانتهاء من هذه المباحث – بمشيئة الله تعالى – أتبعها بخاتمة أذكر فيها أهم النتائج التى توصل إليها البحث ، والتوصيات المقترحة .

ثم ثبت المصادر والمراجع .

ثم فهرس الموضوعات .

المبحث الأول

الإمام ابن حزم ، ترجمته ، ومكانته العلمية

عاش الإمام ابن حزم في قرطبة ، نشأ وترعرع بين قصورها ومنتزهاتها ، وتربّى وتعلم في مساجدها وبيوت علمائها .

فكان نموذجاً دقيقاً للشخصية الأندلسية التي تفاعلت مع المجتمع في جميع جوانبه وصوره .

لقد كان الإمام ابن حزم عالمًا ، وحكيمًا خبيرًا بطبيعة النفس الإنسانية ، اكتسب هذه الخبرة بعمق الدراسة ، ودقة الملاحظة من خلال احتكاكه الواسع بشرائح بشرية مختلفة.

لقد عاش حياة الصراع لأجل ما يؤمن به من آراء ، حتى حكم عليه بالضلال وأحرقت كتبه علانية أمام الناس في أشبيلية ، إلا أن الكثيرين عرفوا قدره ومكانته وصرحوا بذلك ، سواء من الذين عايشوا الإمام ابن حزم أم من الذين أتوا بعده .

وفى هذا المبحث سأتناول ما يلى :

المطلب الأول : ترجمة الإمام ابن حزم رحمه الله

المطلب الثاني : مكانة الإمام ابن حزم العلمية

المطلب الأول

ترجمة الإمام ابن حزم رحمه الله

أولاً : نسبه :

هوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ سَعِيْدِ بنِ حَزْمِ الفَارِسِيُّ الأَصْل ، ثُمَّ الأَنْدَلُسِيُّ القُرْطُبِيُّ ، الفَقِيْهُ ، الحَافِظُ ، المُتَكَلِّمُ ، الأَدِيْبُ ، الوَزِيْرُ ، الظَّاهِرِيُّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ .

[ولد الإمام ابن حزم بقرطبة بعد صلاة الصبح من آخر يوم في شهر رمضان سنة ٣٨٤ هـ – الموافق ٩٤٤م][1] ، (في حي **مُنية المغيرة** الذي كان أجمل أحياء قرطبة)[2]

وهذا التاريخ حدده الإمام ابن حزم – رحمه الله – بنفسه على طريقة التعيين التى لا شك فيها ، يقول القاضى **صاعد بن أحمد الجيلانى الأندلسى** : كتب إلىّ ابن حزم بخطه يقول :

(وُلدت بقرطبة فى الجانب الشرقى من ربض " مُنية المغيرة " قبل طلوع الشمس ، وبعد سلام الإمام من صلاة الفجر آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان المعظم ، وهو السابع من نوفمبر سنة أربعة وثمانين وثلاث مائة بطالع العقرب)[1].

---

(١) ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ، (٢٣٧/١١).

(٢) المنية في الأندلس هي الدار الأنيقة التي تحيط بها حديقة ، والمغيرة هذا كان عمّا للخليفة هشام المؤيد ، كان الحي كلّه حديقة منيته. عندما قتله المنصور بن أبي عامر تقاسم الوزراء و الكبراء حدائق المنية و أنشأ كلّ منهم لنفسه قصرا. وكان من بين القصور قصر يقيم فيها بنو حزم و كان كبيرهم هو والد ابن حزم أحمد الذي كان أحد وزراء المنصور. هذا الحي يقع في شمال شرقي قرطبة واسمه اليوم حي سان لورنزو، وبالضبط في مكان قصر بني حزم تقوم كنيسة سان لورنزو. مقالة للدكتور حسين مؤنس عن ابن حزم في مجلّة العربي العدد ٥٧.

ولقد ذهب أغلب الذين ترجموا للإمام ابن حزم إلى التأكيد على أصله الفارسى ، نسبة إلى جده خلف بن معدان بن يزيد ، ويزيد هذا رجل فارسى ، ومولى للأمير يزيد بن أبى سفيان بن حرب المعروف بـ " يزيد الخير " الذى أسلم عام الفتح ، وولاه سيدنا **أبو بكر الصديق** – رضى الله عنه – إمرة الجيش الأول الذى ذهب لفتح الشام ، " وإلى هذا النسب يكمن السر فى ولاء ابن حزم للأمويين "[٢] .

(وهذا الأصل الفارسى لم يوافق عليه بعض الدارسين العرب للإمام ابن حزم)[٣] ، ويؤكد **الدكتور طه حسين** – رحمه الله – عروبة ابن حزم بقوله : " ذكرت آنفاً أن ابن حزم عربى مسلم ، وقد يقال : " ابن حزم لم يكن عربيًا أصلاً ، وإنما أردت هذه العروبة التى تتصل بالثقافة والسياسة والدين والنشأة ، وهذه الخصال التى هى أهم ألف مرة ومرة من الجنسية والعنصرية ، وأما أسبانيته أو بالأحرى أندلسيته ، فهى ظاهرة جلية فى طبيعة الحياة التى عاشها وفى آثاره ... "[٤]

وأرى أن البحث فى هذه المسألة الدقيقة ليس محل خلاف أو اختلاف فنسب الإمام ابن حزم معروف ومُسطر وتناقلته كتب السير والتاريخ ولا خلاف فى ذلك .

وأما كونه عربياً أو أسبانياً أو فارسياً فالمرء لا يختار موطنه ولا أهله ولا اللحظة التى يولد فيها ، ويكفيه ما تركه من علم ، وفقه ، ليسود به أهل عصره ، وكل امرىءٍ بما كسب رهين .

---

(٣) الصلة ، لابن بشكوال (٢ / ٣٩٦) ، وجذوة المقتبس / للحميدى (٢ / ٢٩١) ، ونفح الطيب للمقرى (٢ / ٢٣٩) ، وابن حزم للإمام أبو زهرة صـ ٢١ .

(١) د / وديع واصف مصطفى ، ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق ، رسالة ماجيستير ، فلسفة كلية الاداب جامعة الاسكندرية ، صـ ٢٤ .

(٢) لا يوافق الدكتور سالم يفوت على النسب الفارسى لابن حزم ويجد لذلك المبررات منها : أن ابن حزم يعتبر أن منبع المذاهب الضالة فى الإسلام هم الفرس فكيف يطعن فى نسبه ، والشىء نفسه يؤكده ابن حيان الذى كان من المعاصرين له ، ويعلق الدكتور سالم يفوت قائلا : سكوت ابن حزم عن نسبه ربما كان مصدره الخجل من خمول أبوته . انظر المرجع السابق ، بتصرف يسير .

(٣) د / طه حسين ، كتاب ألوان ، ، صـ ١٠٢ ، ط / دار المعارف .

وكذلك ما كان الإمام بحاجة إلى ادعاء نسب يزدهى به ، وقد ازدهى بخصلتين هما العلم والجاه بين الناس ، كما أن نسب الإنسان لا قيمة له عند الله ، قال تعالى : **(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) سورة المؤمنون آية ١٠١**وعلى كل حال ؛ فالعقلية الحزمية وهذه الموسوعة الفقهية ، لا يمكن تفسيرها على أساس الجنسية والعنصرية ، ولا يمكن أن يكون لأصل الإمام ابن حزم أية أهمية فى حياته الفكرية .

ونستطيع أن نقول : إن الفترة التى أمضاها الإمام ابن حزم فى هذا القصر وهى التى وقعت بين مولده فى رمضان (٣٨٤ هـ) – وانتقاله منه إلى دورهم القديمة – تلك الفترة هى التى تشكلت فيها شخصية ابن حزم – فيها استقى كتاب " طوق الحمامة " ووصل إلى تصوير المجتمع الأندلسى من داخله ، وكان لها تأثيرها البعيد والعميق فى فكره وتربيته .][1] وعندما بلغ الإمام الثانية عشرة من عمره ، ويسميها هو سن الشباب ، وكان ذلك عام (٣٩٦ هـ) صحبه أبوه إلى مجلس المظفر بن أبى عامر(٣٦٤ – ٣٩٩هـ) .

ثم توالت النكبات السياسية والعائلية على الأسرة الطيبة وهو فى سن الرابعة عشرة من عمره .

(وكان أول هذه النكبات وفاة أخيه أبو بكر(ت ٤٠١ هـ) فى طاعون وقع فى قرطبة فى شهر ذى القعدة سنة إحدى وأربعمائة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة)[2] .

ثم تلاه وفاة والده الوزير عام (٤٠٢ هـ) ، ثم ماتت زوجته بعده بسنة ، ثم توالت ضربات الدهر عليه وعلى أسرته ، فخرج من قرطبة فى أول المحرم سنة (٤٠٤ هـ).

(١) د/ عبد الحليم عويس ، ابن حزم الاندلسى وجهوده فى فى البحث التاريخى والحضارى ، صـ ٥٩ ، ط / الزهراء للإعلام العربى .
(٢) الإمام ابن حزم ، طوق الحمامة ، صـ ١٥٤ .

وقَدر للإمام ابن حزم – رحمه الله – أن يجيء إلى الحياة فى أشد لحظات الأندلس قسوة ومأساة وحسماً ، وشهد شمس الدولة الأموية تنحدر نحو المغيب ، وقاوم قدر استطاعته لكي يبقى عليها ، ورآها تسقط وتقوم على أنقاضها دويلات صغيرة يحكمها أصاغر .

وتوفرت له كتب كثيرة نهل منها العلم ، (حيث وجدت في خزانة الأمويين نفائس الكتب ، وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق والفلسفة)[1].

يقول الأستاذ / عبد السلام سعد فى مقال له : **[** لقد كان الإمام ابن حزم – رحمه الله – من أينع ثمرات الأندلس، فلقد كان أفحل ذهن انبثقت عنه الأندلس في جميع عصورها ، وهو الذهنية الفريدة التي تمثل الثقافة الأندلسية أصدق تمثيل ، ولست أرى هذه الميزة لآخر سواه **]**[2]

ثانياً : نشأته

نشَأَ الإمام ابن حزم فِي تَنَعُّمٍ وَرفَاهيَّة ، وَرُزِقَ ذَكاءً مُفرطًا ، وَكَانَ وَالِدُهُ مِنْ كُبَرَاء أَهْل قُرْطُبَة ، فلقد عاش في مدينة قرطبة ، جوهرة الأندلس مدّة طويلة ، ورغم الاضطراب السيّاسي الذي خضعت له هذه المدينة ، إلاّ أنّها ظلّت متميّزة بحفظ مكانة العلم والعلماء ، وقد استفاد من عوامل الانفتاح والقوّة التي ظلّت تحرّك مسار المجتمع، فأقبل على العلم والتّحصيل ، فكان بحقّ مفكّرًا موسوعيّا ، أسهم في جميع معارف عصره ، حيث أثرى مباحث العلم ، ونشّط حركة الفكر الإسلامي ، في

(١) الإمام الذهبى ، سير اعلام النبلاء : (١٨٦/١٨) .

(٢) الأستاذ / عبد السلام سعد ، مجلة الواحات للبحوث للدراسات ، مقال بعنوان : فلسفة التاريخ عند ابن حزم الظاهري ، (معهد الفلسفة جامعة الجزائر ، العدد ٩ ، (٢٠١٠) ، صـ ١٣٦ . ولقد كان - رحمه الله - من كبار المفكرين الموسوعيين حيث جمع بين الفقه والحديث والكلام والأصول ، ونبغ في الأدب والسياسة والفلسفة والمنطق والتاريخ ومقارنة الأديان ، وألّف في سائر العلوم الإسلامية والإنسانية ، التي كانت شائعة في عصره ، فكانت شهرته واسعة بسبب تبحره في مجالات علمية مختلفة ، خاصة الفقه والعقائد والفرق والأديان .

مختلف أبواب المعرفة : أدبًا وفقهًا ونقدًا وتاريخًا ، وكان سبّاقا ورائدًا في علم جديد ، أسّس بنيانه وأقام دعائمه على قواعد متينة ، وهو علم مقارنة الأديان ، فكان من أبرز العلماء المسلمين الذين قدّموا بناءً متكامل التّكوين ، وتامّ الصّنعة ، في دراسة اليهوديّة والمسيحيّة ، حيث درسهما عن علم ، ونقدهما عن معرفة.

وقد هيَّأ له الله نساءً فُضْلَياتٍ قُمْنَ على تربيته وتعليمه ، ونلحظ ذلك من كونه حفظ القرآن على أيديهن، ويؤكد هو بنفسه هذا المعنى قائلاً : " لقد شاهدت النساء ، وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيرى ، لأنى ربيت فى حجورهن ، ونشأت بين أيديهن ، ولم أعرف غيرهن ، ولا جالست الرجال إلا وأنا فى حد الشباب ، وهن علمننى القرآن ، ورويننى كثيرًا من الأحاديث والأشعار ، ودربننى على الخط "[1] .

إضافةً إلى ذلك كان والد الشيخ من العلماء الكبار المشهود لهم بالخير وسعة العلم وحسن الخُلُق .

وقد ساعده على ذلك نشأته المترفة ، فى حياة ناعمة ، في بيت وزارة ورئاسة ، وجاهٍ وغنى ، ومنذ نعومة أظافره وأبوه يعده ويهيئه للوزارة والزعامة والمراتب العليا وقد غرس ذلك في قلبه الصغير، فتربَّى الإمام ابن حزم على الزِّعامة والقيادة والسيادة ، تربى على أن يقود ولا يقاد ، يأمر ولا يُؤمر، وقد تولى بالفعل الوزارة ثلاث مرات متفرقات .

ولا شك أن حياة الرفاهية والترف التى نشأ فيها الإمام ، وأسرته التى كانت تعد من أعلى الطبقات فى المجتمع القرطبى كان لها أثر كبير فى تنشئته ، وصقل مواهبه التى تفجرت بعد ذلك بغزارة لتثمر المؤلفات الكثيرة فى العديد من فروع العلم ، لا سيما وقد كان سريع البديهة ، كثير الحفظ ، حاد الذكاء .

---

(١) د / إحسان عباس ، رسائل ابن حزم الأندلسى، رسالة طوق الحمامة ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، صـ ١٦٦ ، ط سنة ١٩٨٧ م .

ثالثاً : بيئته

تقع قرطبة مسقط رأس الإمام ابن حزم فى وسط بلاد الأندلس ، وقد أجمع الرحالة والمؤرخون على أن قرطبة من مدن الأندلس ، وأكبرها مساحة وتسابقوا فى وصف طبيعتها وما يميزها عن غيرها من باقى مدن الأندلس ، حتى قيل فيها بأنها كأحد جانبى بغداد .

ومن أهم ما اشتهرت به قرطبة جامعها المشهور[١]، والقنطرة المعروفة بالجسر ، (وقد تميزت هذه المدينة عن باقى مدن الأندلس بميزات جعلها تحتل مكان الصدارة بين المدن الأندلسية قاطبة ، حددها بعض علماء الأندلس بأربع ميزات ، جمعت فى بيتين من الشعر فقال :

بأربعٍ فاقت الأمصار قاطبة *** منهن قنطرة الوادى وجامعـها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة *** والعلم أعظم شىء وهو رابعها)[٢]

أقول : وهذا الوصف إن دل على شىء فإنما يدل على مدى الازدهار العمرانى والحضارى والتقدم العلمى الذى وصلت إليه قرطبة ، مما جعلها محط أنظار العلماء والمؤرخين ، ولا غرو فى ذلك فقد كانت عاصمة الخلافة الأموية فى الأندلس ، وجامعة لعدد كبير من العلماء والمفكرين .

---

(١) المسجد الجامع من معالم قرطبة لا يزال قائما بعد الف عام من بنائه ، يطاول الزمن ويقاوم المحن ، والإلمام بتاريخه ، والوقوف عند أوصافه ، ، وقد ترك لنا الشريف الإدريسى وهو أندلسى من سبتة وتوفى عام ٥٦٠ هـ = ١١٦٦ م ، وصفا شاملا ودقيقا فى كتابه " نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق " ، كما أن المقرى جمع فى كتابه " النفح " نصوصا عديدة متصلة به " انظر : الفن العربى فى أسبانيا وصقلية ، صـ ٢٢ ، ط ١ ، ترجمة د / الطاهر أحمد مكى ، دار المعارف ١٩٨٠، وصدرت طبعته الثانية عام ١٩٨٥ م .

(٢) إعداد الباحث : اسماعيل مصطفى اسماعيل اليوسف : ابن حزم الأندلسى حياته وفلسفته ، (رسالة ماجيستير) ، ، تاريخ المناقشة ١٣٩٧ هـ ، صـ ٢ ، رسالة مقدمة الى معهد الآداب الشرقية فى جامعة القديس يوسف – بيروت – لبنان .

فى هذا الجو الذى يسوده الترف وُجد الإمام ، و[بدأت قرطبة تعانى الكثير من أمراض الحضارة ، إذ فاضت رغبات الناس وتجاوزت ما هو مقبول عرفًا وعادةً ، وانتشرت الفرق الكلامية ، وزادت الاختلافات فى فروع الشريعة واقتتل الناس عليها ، ووقف **المذهب المالكى** فى وجه تلك الفرق وأصبح الاتجاه الغالب فيها ، تبنته الدولة، وعليه الفتوى ، وأغلقت أبوابها فى وجه المذاهب الفقهية الأخرى ، وأعرض علماؤه عن النظر إلى غير المالكية من المذهب ، وكان الإمام أبو الوليد الباجى قائدًا فى ذلك وكان خصمًا لدودًا للإمام ابن حزم ، وجرت بينهما محاوراتٍ عنيفةٍ ، وأثنى عليه ابن حزم ثناءً بالغًا][1] .

وتمذهب الإمام ابن حزم على المذهب الشافعى ، وصار واحدًا من أتباعه قبل أن يتحول إلى المذهب الظاهرى .

فى هذا الجو من الحضارة المصقولة ، والثقافة المزدهرة ، وُلد الإمام ابن حزم ونشأ ، وتفاعل معها غلامًا يافعًا وصبيًا دارسًا وشابًا ورجلًا يعمل بكل ما أتيح له لكى يوقف انحدار الحضارة والخلافة وتلاشيها وقدر للإمام ابن حزم أن يجىء إلى الحياة فى أشد لحظات الأندلس قساوةً ومأساةً وحسمًا .

وشهد انهيار الخلافة الأموية ، وشهد دويلات صغيرة تقوم على أنقاضها يحكمها أمراء صغار دخلوا التاريخ تحت مسمى : " ملوك الطوائف " وعاصر تلك الفوضى السياسية.

ولا شك أن حياته فى وسط هذا الجو من التقلبات السياسية والمناظرات الدينية ، ومشاركته أدوار السياسية وتبنيه للمذهب الظاهري جعلت منه مُفكرًا وعالمًا وأديبًا وشاعرًا وفقيهًا ومؤرخًا وفيلسوفًا ، وجعلت منه أيضًا مُجادلاً عنيف الحوار .

(١) د/ الطاهر أحمد مكى ، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ، صـ ٥٠ وما بعدها ، بتصرف يسير ، الطبعة الرابعة ١٩٩٣م دار المعارف

لذلك كره ملوك الطوائف الإمام ابن حزم – رحمه الله – ، وحرصوا على إبعاده عن أراضيهم ، ونفيه من مكان لآخر، فلقد كانوا يخافون من آرائه النقدية وحملاته الفكرية على فضائحهم وجرائمهم ، ولربما أحرقوا كتبه بمحضر عام من الناس ، كما فعل ذلك حاكم أشبيلية المعتضد بن عباد[1] ، وحرضوا العوام عليه ، ومنعوا الطلبة من الجلوس إليه ، فقضى الإمام آخر عشرين سنة في حياته منفيًّا في مسقط رأس أسرته في قرية منت ليشم من أعمال لبلة في غرب الأندلس، ولكنه استفاد من تلك المحنة وتفرغ بالكلية للتأليف والتَّصنيف ، فأخرج دررًا وكنوزًا رائعة في شتَّى الفنون ، وحوَّل الإمام محنته ومنفاه إلى قلعة علمية للكتابة والتأليف ، ليخرج بعد ذلك علمه للعالم بأسره ينتفع به الناس على مر العصور حتى الآن وإلى أن يشاء الله – عز وجل – .

رابعاً : شيوخه

ذكر الإمام – رحمه الله – في كتابه " طوق الحمامة " كثيرًا من شيوخه الذين تلقى عنهم الحديث والفقه فيقول : " وصحبت شيخي أبو على الحسين الفاسى ، وكان عاقلاً وممن تقدم فى الصلاح والنسك ، وما رأيت مثله علمًا وعمَلا وورعًا "[2] .

وكان الإمام الفاسى (٧٧٥– ٨٣٢هـ) كالرائد له يوجهه والمربى الذي يهذبه ، ومن شيوخه كذلك الإمام الهمذانى (٣٥٨ – ٣٩٥هـ) – رحمها الله –.

أما الفقه فتلقاه عن عبد الله بن يحيى بن أحمد بن دحون الفقيه (ت ٤٣١هـ) الذي عليه مدار الفتيا في قرطبة .

---

(١) هو المعتضد بالله أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد ولى أمور أشبيلية وأعمالها ، استوي فى مخافته ومهابته القريب والبعيد ، دوخ الممالك ودانت له الملوك من جميع أقطار الأندلس توفى عام ٤٦٤هـ . انظر المعجب (صـ ١٥١ : صـ ١٥٧) .

(٢) ابن حزم ، طوق الحمامة ، صـ ٢٧٥

مما تقدم يتبين لنا أن طلب الإمام للحديث كان أسبق من طلبه للفروع الفقهية ، ولذلك شبّ على حب الحديث ، فكان محدثًا حافظًا ، قبل أن يكون فقيهًا ، وبعد ذلك تعمق في دراسة الفقه .

(**وبناء على ما سبق** يمكن القول بأن الإمام ابن حزم ابتدأ دراسته الفقهية بدراسة المذهب المالكي ، لأن الفقهاء الذين كانوا من شيوخه جلهم من المالكيين)[1]

وأقــول : بأن دراسته للمذهب المالكي كانت أمرًا طبيعيًا شأنه في ذلك كشأن أكثر أهل قرطبة .

أما الفقه الشافعي فلم أرَ من بين شيوخه من تمسك أو اقتدى بالمذهب الشافعي .

ومما لا شك فيه أننا لن نستطيع حصر شيوخ الإمام ابن حزم حصرًا تامًا ، ولعل أهم شيوخ ابن حزم – رحمهم الله – الذين أخذ عنهم ، بل كان لبعضهم تأثير واضح على فكره هم كالتالي :

سَمِعَ فِي سَنَةِ أَرْبَعمائَة وَبعدهَا مِنْ طَائِفَةٍ، مِنْهُم: –

١– يَحْيَى بن مَسْعُوْدِ بنِ وَجه الجَنَّة، صَاحِب قَاسِم بن أَصْبَغ، فَهُوَ أَعْلَى شَيْخٍ عِنْدَهُ يكنى بأبي بكر ، وقد توفى – رحمه الله – عام ٤٠٢ هـ .

٢– وَمِنْ أَبِي عُمَرَ أَحْمَد بن مُحَمَّدِ بنِ الجَسور ، الأموي ، وهو من أهل قرطبة ، وقال عنه الحميدى : " محدث مكثر " وكان خيرًا فاضلًا أديبًا شاعرًا وقد توفى في عام (٤٠١ هـ) "[2] .

٣– وَحُمَامِ بن أَحْمَدَ القَاضِي .

---

(١) الحميدى ، جذوة المقتبس ، صـ ١٠٧

(٢) إعداد / إسماعيل مصطفى إسماعيل ، ابن حزم الأندلسي حياته وفلسفته ، (رسالة ماجستير)، إشراف د / أسعد أحمد على ، تاريخ المناقشة ١٣٩٧هـ ، صـ ٥٠ ، ٥١) .

٤- وَمُحَمَّدِ بن سَعِيْدِ بنِ نباته .

٥- وَعَبْدِ اللهِ بن الرَبِيْع التَّمِيْمِيّ ، سكن في قرطبة ، توفى عام (٤١٥ هـ) .

٦- وَعبد الرَّحْمَن بن عَبْدِ اللهِ بنِ خَالِدٍ .

خامساً : تلاميذ العلامة ابن حزم

(لم تذكر كتب التراجم عددًا كبيرًا من تلاميذ الإمام – رحمه الله – ويرجع ذلك لتأليب علماء عصره ضده بسبب مخالفته لهم فى المذهب ، وحدته ، وسلاطة لسانه في مجادلتهم ، وكذلك الاضطهاد السياسي الذي تعرض له ، ومما لا شك فيه أيضًا أنه كان موضع حسد من بعضهم لغزارة علمه ، لذلك نهوا عوامهم من الإصغاء له ، وحذروا سلاطينهم من فتنته) .

وبالرغم مما لاقاه الإمام – رحمه الله – من عنت الفقهاء واضطهاد الحكام إلا من رحم الله ، وتحريض عامة الناس عليه بالسباب والشتائم ، إلا أنه كان له أتباع كثيرون ، وقرأ عليه جماعة كثيرة من طلبة العلم الذين بفضلهم وصل إلينا بعضٌ من تراث الإمام فكانوا مثال الوفاء من التلميذ لأستاذه .

ومن أكثر الذين رووا عنه على سبيل الاختصار :-

١- الإمام أبى عبد الله الحميدى[1] صاحب جذوة المقتبس ، وقد كان من المعجبين بأستاذه ابن حزم – رحمه الله – وأخذ على عاتقه نشر مذهبه بالمشرق .

(١) هوأبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي (420هـ-٤٨٨هـ)، الإمام الحافظ ، الفقيه الظاهري ، تلميذ الأمام بن حزم الأندلسي . وكان موصوفا بالنباهة والمعرفة والإتقان والدين والورع ، وكانت له نغمة حسنة في قراءة الحديث ، وله مصنفات عديدة ؛ أهمها تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وتوفي الحميدي في بغداد سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربع مئة عن بضع وستين سنة أو أكثر وصلى عليه أبو بكر الشاشي ودفن بمقبرة باب أبرز ثم إنهم نقلوه بعد سنتين إلى مقبرة باب حرب فدفن عند بشر الحافي . قال الحافظ ابن عساكر كان الحميدي أوصى إلى الأجل

٢- أبناؤه الأربعة : الفضل (أبو رافع) ، وأبو أسامة يعقوب ، وأبو سليمان المصعب ، وسعيد بن على بن حزم .

٣- صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد الثعلبى (٤٢٠هـ – ٤٦٢هـ / ١٠٢٩م–١٠٦٩م) قاضى طليطلة . ولقد بلغ تمسك أتباعه بمذهبه والدفاع عنه ، أن ألفوا فيما بينهم فرقة عرفت بالحزمية ، وأصبحت تمثل فيما بعد مذهباً قائماً بذاته حل محل المذهب الظاهري ، كان من أكبر أعضائها تلميذه (صاعد الطليطلى)

سادساً : معاصروه

لا شك أن الذى يطالع سيرة الإمام ابن حزم يشعر بالأسى والألم ، وكم من المحن التى واجهها بسبب معاصريه ، إذ عمل الكثيرون من الفقهاء والحكام على حربه وإخراجه من بلده ، وقليل منهم أنصفوا الإمام وعرفوا مكانته وعلمه ، وظلت هذه الحرب عليه حتى لقى ربه – رحمه الله – .

وكان لمعاصرى الإمام ابن حزم مواقف متباينة منه بسبب الاختلافات الفكرية والسياسية التى كانت ملاذًا لكل فقيه وعالم ، والتنافس أيضًا على الجاه والمال والقرب من السلطان ، والضعف الذى يتولد أحياناً عن مجاراة الآخرين .

ومن خلال استقرائى لتاريخ الإمام ابن حزم وحياته العلمية قمت بتقسيم معاصريه إلى ثلاثة أقسام على النحو التالى :

القسم الأول : أساءوا إليه بدافع الخلاف المذهبى وكان من أكبر أسبابها :

مظفر بن رئيس الرؤساء أن يدفنه عند بشر فخالف فرآه بعد مدة في النوم يعاتبه فنقله في صفر سنة إحدى وتسعين وكان كفنه جديدا وبدنه طريا يفوح منه رائحة الطيب. انظر ابن حزم المفكر الظاهرى الموسوعى ، د / زكريا ابراهيم ، صـ ٥١ .

١- جرأة الإمام ابن حزم على أئمة الفقه وخاصة أصحاب المذاهب المتبوعة ، وتعديه على الإمام مالك بن أنس إمام (٩٣ – ١٧٩هـ) أهل المدينة – رحمه الله – وكان صاحب المذهب الأوحد فى الأندلس .

٢- افتقاده لسياسة العلم ، فقد كان شديد التجريح بلسانه ، قوى الحجة ، وكان ذلك سببًا فى نفور الناس عنه ، فمال العوام عليه يلعنونه ويشنعون عليه ويكفرونه ويحذرون السلاطين ورجال الدولة منه حتى أجلوه عن قرطبة ، وأحرقوا كتبه .

وكان من أمثال هؤلاء : الفقيه المالكى القاضى أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى (٤٠٣ –٤٧٤هـ) ، وأصله من الأندلس ، وقد رحل إلى العراق والحجاز وكان من أشدهم على الإمام ابن حزم – رحمهما الله – .

أضف إلى ذلك :

٣- عدم ممالأته للحكام ، ورفضه لقبول هداياهم استعلاءً بعلمه ومعرفةً بقدره .

٤- تركه مذهب الإمام مالك بن أنس – رحمه الله – واعتناقه لمذهب الإمام الشافعى رحمه الله ، ثم تركه له والقول بالمذهب الظاهرى وعدم تقليد إمام من الأئمة .

٥- مجادلاته لليهود والنصارى دفاعًا عن عقيدته ، مع محاولة كشف ما فى كتبهم من تناقض .

القسم الثانى : مختلفون معه لكنهم منه محايدون

وهذا القسم اختلف مع الإمام ابن حزم فى الرأي والفكر ، وقاموا بنقده ، إلا أنهم راعوا أخلاق العلماء فى النقد .

وكان من أمثال هؤلاء : الإمام **ابن حيان** (٦٥٤ – ٧٤٥هـ) ، [الذى قوّم ابن حزم بطريقة أقرب ما تكون إلى العدل ، وقد عزا ابن حيان على الرغم من بعض

تحامله على ابن حزم ما أصاب ابن حزم من الفقهاء إلا أنه من الحسد الذى لا دواء له ، لأن أزهد الناس فى العالم أهله .][1]

ويعقب الدكتور / محمود على مكى على رأى ابن حيان فى ابن حزم :

فيقول : [ولسنا نعلم أحدًا عرف كيف يغوص على حقيقة الإمام ابن حزم وقيمة جهده وما له وما عليه كما فعل ابن حيان].[2]

والحقيقة أن الإمام ابن حيان لم يخل من حسد تجاه الإمام ابن حزم ، وهذه عادة الأنداد مع أمثالهم

القسم الثالث : أصدقاء الإمام ابن حزم

فقد كان الإمام ابن حزم ودودًا محبًا لأصدقائه ، علاقة لم يدخل فيها الجدل الفكرى ، ولم يجد الخلاف فيها موطنه .

وكان من أمثال هؤلاء : أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين التميمى ، الذى أورد الإمام ابن حزم خلاصةً جيدةً لعلاقته به فى كتاب " الطوق " وكيف كان يتهاديان الود شعرًا .

وقد رثاه الإمام ابن حزم بقصيدة منها :

لئن سترتك بطون اللحـود فوجدى بعــدك لا يستتر
قصدت ديارك قصد المشوق وللــدهر فينا كرور ومر
فألفيتها منك قـفرًا خــلاءً فأسكبت عينى عليك العبر[3]

(١) د/ عبد الحليم عويس ، ابن حزم الاندلسى وجهوده فى البحث التاريخى ، صـ ٧٨ ، ط / الزهراء للإعلام العربى .
(٢) د / محمود على حماية ، ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان ، صـ ١٣٦ ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ ، ط / دار المعارف .
(٣) الإمام الحميدى ، جذوة المقتبس ، صـ ١٥٤ : ١٥٩ .

وقد عاصر الإمام ابن حزم علماء ومفكرون وفقهاء كثيرون ، لكن لم تكن له بهم علاقة ، وربما منعهم ما كان عليه خوف الاقتراب منه ، وربما كانت الأحوال السياسية مضطربة ، وتقلب الناس فى الفتن ، وربما منعهم من الاقتراب منه طبيعته وشخصيته الصارمة التى يصعب الجدل معها .

المطلب الثاني

مكانة الإمام ابن حزم العلمية

أولاً : أسـلوبه

بدأ الإمام – رحمه الله – طلبه للعلم بحفظ القرآن الكريم ، ثم رواية الحديث ، وعلم اللغة ، فبلغ في كل ذلك مرتبةً عالية ، ثم اتجه من بعد ذلك إلى الفقه ، فدرسه على مذهب الإمام مالك – رحمه الله – (٩٣ – ١٧٩هـ) ؛ لأنه مذهب أهل الأندلس في ذلك الوقت ، ولكنه كان مع دراسته للمذهب المالكي يتطلع إلى أن يكون حرًّا، يتخير من المذاهب الفقهية ولا يتقيد بمذهبٍ ؛ ولذلك انتقل من المذهب المالكي إلى المذهب الشافعي ، فأعجبه تمسُّكه بالنصوص ، واعتباره الفقه نصًّا أو حملاً على النص ، وشدة حملته على من أفتى بالاستحسان .

ولكنه لم يلبث إلا قليلاً في التزامه بالمذهب الشافعي ، فتركه لما وجد أن الأدلة التي ساقها الإمام الشافعي – رحمه الله – لبطلان الاستحسان تصلح لإبطال القياس ، وكل وجوه الرأي أيضًا.

ثم بدا له أن يكون له منهجٌ خاصٌّ وفقهٌ مستقلٌ ، فاتجه إلى الأخذ بالظاهر، وشدَّد في ذلك ، حتى إنه كان أشدَّ من إمام المذهب الأول داود الأصفهاني[1]– رحمه الله – (٢٠١ – ٢٧٠ هـ) وذلك على نحو ما سأذكر :

---

(١) داود بن علي الظاهري بن خلف، البغدادي المعروف بالأصبهاني (٢٠١- ٢٧٠ هـ) أبو سليمان، الملقب بالظاهري: أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام. تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس. وكان داود أول من جهر بهذا القول. وانتهت إليه رياسة العلم فيها. وكان أبوه حنفي المذهب.وكان من أكثر الناس تعصُّباً للشافعي ،وكان صاحب مذهب مستقل وتبعه جمع كثير من الظاهرية ، وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد .، وكان من عقلاء ، قال السيوطي : صنّف التصانيف ، وكان بصيراً بالحديث صحيحه وسقيمه ، إماماً ورعاً ناسكاً زاهداً .وقال السبكي : وكان أحد أئمة المسلمين وهداتهم ، وقد كان موصوفاً بالدين

١- **تفسير القرآن وعلومه** : وقد سلك أقوم السبل ، فجعل الأصل الأول فى تفسيره لكلام الله ، ثم كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم لغة العرب التى نزل بها القرآن ، أما ما يورده من أقوال الصحابة والتابعين فكان على سبيل الاستئناس والتقوية لما يختاره من الأقوال .

٢- **الحديث وعلومه** ، فكان من جملة العلوم التي اهتم بها ، وكتب فيها وصنف، فألف فيه تآليف متنوعة ، وصنّف فيه تصانيف متعددة ، إلا أنه لم يصل لنا مما كتب في هذا العلم سوى ما في كتابه الفقهي (المحلى)، وما كتبه في كتاب (الإحكام فى أصول الأحكام) .

٣- **الفقه وأصوله** : أما في الأصول فقد نحى منهجاً متأثراً بالفلاسفة ، لكنه أيضاً كثير الشذوذ عن السلف.

ومما يتضح جلياً في مذهب ابن حزم الاستدلالي ، أخذه بمذهب الاستصحاب ، وخاصة استصحاب البراءة الأصلية : فهو يكثر منه جداً ، وهو عمدته في الاستدلال غالباً.

والسمة الظاهرة على منهج ابن حزم في الترجيح والاستدلال ، أنه يميل إلى الأخذ بالنسخ أكثر منه إلى الجمع بين النصوص ، وإن كان في كثير من الأحيان يوافق الصواب في الحكم بالنسخ ، وهو في هذا على خلاف طريقة الشافعية والحنابلة بشكل عام يميلون إلى الجمع بين النصوص ، بينما الأحناف يميلون أكثر للنسخ ، لكن الجمع بين الأحاديث زاد كثيراً عند المتأخرين بسبب تحسينهم للأحاديث الضعيفة المعارضة للأحاديث الصحيحة .

المتين. وقال العماد الحنبلي : الإمام الفقيه وكان ناسكاً زاهداً ، وكان داود حافظاً مجتهداً إمام أهل الظاهر. البداية والنهاية / للإمام ابن كثير ، المجلد السادس ، (١١ / ٤٠) ، ط / دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م .

وقد اكتفيت بذكر هذه العلوم الثلاثة خشية الإطالة .

أما أسلوبه فينقسم إلى قسمين :-

القسم الأول : الأسلوب العلمى

القسم الثانى : الأسلوب الأدبى

أما الأسلوب العلمى فهو الذى كتب به أكثر مؤلفاته لا سيما كتب العقائد والأديان ، وهذا الأسلوب هو الذى اهتم فيه بإبراز الحقائق ، فلم يكن متميعاً فى كتاباته بل كان جادًا صريحًا واضحاً .

والأسلوب الأدبى هو الذى كتب به " طوق الحمامة " وراعى فيه الصور البيانية ، والسجع والاستعارات والكنايات ويحرص أن تكون الكلمات فيه منتقاه ، والعبارات منسجمة يعانق بعضها بعضاً .

فاتسم أسلوبه بالوضوح دون موارة ، ولعل دراسته للمذهب الظاهرى هو الذى أكسبه هذه الصفة ، فهو لا يؤول النصوص كالباطنية ، ولا يقيس كالحنفية ، ولا يكنى ولا يوارى أهل الباطل بل لا يعرف إلا الوضوح والصراحة .

وقد يلجأ غير مرة للتكرار ليوضح فكرته ، بل ربما يكررها ليرسخها فى الأذهان ويؤكدها ،[وربما نوّع فى أسلوبه فلا يكتفى بالموجز من الكلام ؛ بل يطنب لبسط القول فى المسألة التى يتناولها مما يجعل المعانى بينةٍ مكشوفةٍ ومحددةٍ قاطعةٍ ، لا تستعصى على من يريدها بأيسر كلفةٍ وأقل مجهودٍ][1].

ثانياً : مصنفاته وآثاره العلمية

(١) الشيخ / محمد أبو زهرة ، ابن حزم آراؤه ..... ، صـ ٢٠١

عُرف الإمام ابن حزمٍ الأندلسي بجهاده الفكري الواسع ضد المبالغة في تحكيم العقل في الدين ، مما جعله يمثل دوراً إصلاحياً قلّ نظيره ، وجعل فقهه إلى اليوم مثار إعجاب العلماء واهتمام الباحثين ، ولم يجتمع ذلك لابن حزم إلاّ لأنه كان محدّثاً وأصولياً في وقتٍ واحدٍ.

وقد (ذكر المؤرخون أن الإمام ابن حزم صنف أربعمائة مجلد يقرب من ثمانين ألف ورقة ، ولم يوجد باب من أبواب العلم إلاّ وخاض فيه ، فقد كتب في الأدب ، وبحث في علوم الفلسفة والمنطق والتاريخ ، والحديث ، والملل والنحل والفرق)[1].

وبهذا يكون الإمام ابن حزم واحدًا من أعلام الحضارة الإسلامية ، وواحدًا من أبرز علماء الأندلس ، ومن أئمة المسلمين الكبار .

وقد تجلت فى شخصيته تلك الظاهرة الموسوعية التى كانت سمةً واضحةً لدى معظم علماء المسلمين ، ومع تمكنه العلمى الواضح فى تصنيف الفقه والعقائد ، كان شاعرًا أديبًا ، على درجة عالية من الحس المرهف ، والبيان القادر على التأثير .

ومما هو جدير بالملاحظة أنه لم يمر على واحد من المجالات السابقة مرورًا عابرًا، بل إنه تعمقه ، وبدا كما لو كان متخصصًا فيه وحده .

أضف إلى ذلك : انشغاله بالسياسة وأمور الحكم ، فقد عين وزيرًا أكثر من مرة ومع ذلك كله أدرك أنه يجب عليه أنه ينسحب من ميدان السياسة إلى ميدان القراءة ومن ثم التأليف .

[ولم تصلنا حتى الآن كل مؤلفات ابن حزم ، شأنه فى ذلك شأن معظم علماء المسلمين الذين تميزوا بغزارة الإنتاج ، لكن ما وصلنا وتم بالفعل طبعه أو تحقيقه

(١) ابن بشكوال ، الصلة ، صـ (٨٨٨ : ٩٤٤)

يكفى إلى حد كبير فى تأكيد مكانة ابن حزم العلمية ، واستخلاص أصول مذهبه وقواعد منهجه .][1]

وإذا كان الإمام قد قام بتأليف هذا الكم الهائل والعملاق من الكتب فى شتى العلوم، وأثرى المكتبة الإسلامية بالكتابة فى كل فن ، فإنه يراودنى سؤال بالغ الأهمية وهو : ما مصير هذه الكتب ، وأين ضاعت ؟

لكن الإجابة معروفة ، وقرأناها فى كتابات المؤرخين .

إن التاريخ يذكر على استحياء ما آلت إليه هذه الكتب وهذا الانتاج الضخم من الثقافة والفكر فى شتى العلوم من عنت الحقد والحسد والاضطهاد ، سواء من الحاقدين له أو المنافسين الذين سعوا

لدى الخليفة المعتضد بن عباد حاكم أشبيلية ، حتى مزق كتبه ، وأشعل فيها النار.

وهذا الموقف المتعنت زاد الإمام إصرارًا على مواصلة سيره وكثرة التأليف .

ويعلق تلميذه " أبو القاسم صاعد (ت ٤٦٣ هـ) صاحب : " طبقات الأمم " على الخبر السابق قائلًا : " وهذا شيء ما علمناه من أحد ممن كان فى دولة الإسلام قبله إلا لأبى جعفر بن جرير الطبرى –رحمه الله– فإنه أكثر أهل الإسلام تأليفاً "[2].

ويذكر الحميدى (أبو عبد الله الأزدى " ت ٤٨٨هـ " صاحب جذوة المقتبس أن ابن حزم كان : " متفنناً فى علومٍ جمةٍ ، وتواليف كثيرةٍ فى كل ما تحقق به من العلوم"[3] .

(٢) حامد طاهر ، منهج النقد التاريخي عند ابن حزم ،صـ ٦٠٥ .
(١) الطبرى ، طبقات الأمم ، صـ ١٠٢ ، - وانظر لسان الميزان لابن حجر العسقلانى ، جـ ٤ ، ترجمة رقم ٥٣١
(٢) الإمام الحميدى ، جذوة المقتبس ، صـ ٣٠٨

أما معاصره " ابن حيان " فيذكر أنه كمل من مؤلفات الإمام ابن حزم فى فنون العلم : (وقر بعير لم يتجاوز أكثرها عتبة داره ، لزهد الفقهاء فيها حتى أَحرق بعضها بإشبيلية ومزقت علانية "[١].

أما الإمام فيقول عن نفسه : " ولنا ما تحققنا به تآليف جمةٍ ، منها ما قد تمّ ، ومنها ما شارف التمام ، ومنها ما قد مضى صدره ويعين الله على باقيه "[٢] .

وهكذا اتفق مترجمو الإمام المعاصرون وعلى رأسهم صاحب الترجمة نفسه على أنه أكثر مؤلفى الإسلام إنتاجًا ، وقد نقل ذلك عنه وعنهم من جاء بعدهم من المؤرخين ، وبذلك يصح القول بأن كثرة مؤلفات الإمام ابن حزم حقيقة الصلة بالإمام ومؤكدة .

بعض مؤلفات العلامة ابن حزم المشهورة والمطبوعة :

أ : **الفلسفة :** ألف الإمام كتباً في مراتب العلوم والمنطق ، وفي نقد أبي بكر الرازي ، وقد ضاعت كلها ، ولكن بقي لنا ما يستحق الذكر من تواليفه كتابه المسمى: " الأخلاق والسير في مداواة النفوس "[٣] ، **وقد أجمل آسين بلاثيوس وصفه بقوله :** " إنه أشبه بسجل يوميات ، دون فيه الإمام ملاحظاتٍ أو اعترافاتٍ تتصل بسيرة حياته ... ونحن إذ نقرأه نجد فيه الوقائع كما سجلها رجلٌ يقظٌ ، دقيقُ الملاحظة أثناء تجاربه الواسعة ، وصاغها في قالب مبادئ عامة وحكم "[٤] .

---

(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، صـ ١، ٢١ ، ١٤٢ - وياقوت الحموى : المعجم (١٢ – ٢٤٩)

(١) ابن حزم ، رسالة فى فضل الأندلس ، صـ ١٩

(٢) صدر عن دار المعارف بالقاهرة ، بتحقيق د / الطاهر أحمد مكى ، الطبعة الثانية ، سنة الطبع ١٩٩٢م

(٣) د / الطاهر أحمد مكى ، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، صـ ٧٦ ، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣ م .

وأعظم قيمة لهذا الكتاب الأخلاقي الذي صدر عن نفسٍ متصوفةٍ – هي أنه يقدم لنا صورة حقيقية حية لنفسية مسلمي الأندلس في القرن الحادي عشر، وقواعد الأخلاق التي كانت مرعية في مجتمعهم ، هذا إلى جانب تلك الفقرات التي تتصل بحياة ابن حزم نفسه.

ب– **الفقه والأصول** : ألف الإمام كتباً كثيرة في الحديث والمذاهب ، ولكن أهمها على الإطلاق هو كتاب : " الإبطال " الذي يعرض علينا فيه ضعف أصول خمسة أتبعتها بعض المذاهب الإسلامية في استخلاص الأحكام الشرعية ، وهي : (القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل) .

جـ – التاريخ : خلف الإمام ابن حزم لنا مادة طيبة في التاريخ منها كتاب "جمهرة أنساب العرب" وهو عظيم الفائدة لمن يدرسون تاريخ الإسلام في المشرق والأندلس .

وكذلك كتابه " نقط العروس" وهو يضم معلومات مقتضبة جافة عن خلفاء المشرق والأندلس وحكامها.

د – الأدب : يعتبر " طوق الحمامة " أهم ما ألف الإمام ابن حزم في باب الأدب ، وهو رسالة عن " الألفة والإلاّف" أي الحب والمحبين .

ثم كتابه : " الفصل فى الملل والأهواء والنحل " وهو تاريخ نقدى للأديان والفرق والمذاهب ، غنىٌ بمادته وأفكاره ، عرض فيه الإمام مذاهب الفكر البشرى فى موضوع الدين ، ورأى فيه الإمام أن خير العقيدة ما أخذ طريقاً وسطاً بين العقل والنقل .

ومن مصنفاته المفقودة :

الثانى : مصنفات مفقودة ، وسأذكر منها خمسة فقط على سبيل الاختصار :

١– كتاب الإيصال إلى فهم كتاب الخصال

١– كتاب الخصال الحافظ لجمل شرائع الإسلام

٣- كتاب مختصر في علل الحديث

١- كتاب قسمة الخمس في الردِّ على إسماعيل القاضي

٢- كتاب الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض عنها

والحقيقة أن كثرة هذه المؤلفات تدلنا على تعدد مجالات المعرفة التى طرقها الإمام ابن حزم رحمه الله ، ومع هذا التعدد فإن من يقرأ له مؤلفاً فى علم ما من العلوم يتيقن أنه لا يحسن غير هذا العلم لمهارته فيه ، لأنه غالبًا يحسن الكتابة فى كل العلوم ، فهو الأديب فى " طوق الحمامة "، وهو الأصولى الفقيه فى " المُحلى " ، وهو العالم البحر فى " الإحكام " وهو العالم بتاريخ الأديان فى " الفصل " ...

ثالثاً : أقوال العلماء فيه

من خلال استقراء سيرة الإمام ابن حزم – رحمه الله – اتضح أن للعلماء فيه ثلاثة مواقف (المؤيدين له – والمعارضين – والمنتقدين لعلمه المنصفين له) .

أ : أقوال المؤيدين للإمام ابن حزم :

١ – قال الإمام أبو حامد الغزالى– رحمه الله – : (وجدت فى أسماء الله تعالى كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم الأندلسى ، يدل على عظم حفظه ، وسيلان ذهنه)[١] .

٢ – قال الإمام أبو القاسم صاعد بن أحمد (تلميذ ابن حزم) : كان الإمام ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر ، والمعرفة بالسير والأخبار ؛ أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربعمائة مجلد ، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة)[٢] .

(١) الإمام الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، جـ ٣ ، صـ ١١٤٧

(٢) ابن بشكوال ، الصلة ، (١٢ / ٢٣٧-٢٣٨) .

٣- **قال أبو عبد الله الحميدي**(تلميذ ابن حزم) : " كان ابن حزم حافظًا للحديث وفقهه ، مستنبطًا للأحكام من الكتاب والسنة ، متفننًا في علوم جمة ، عاملًا بعلمه ، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ ، وكرم النفس والتدين ، وكان له في الأدب والشعر نفسٌ واسعٌ وباعٌ طويلٌ ، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه ، وشعره كثير جمعناه على حروف المعجم)[١] .

٤- **قال اليسع ابن حزم الغافقي** وذكر أبا محمد فقال : (أما محفوظه فبحرٌ عجاجٌ ، وماءٌ ثجاجٌ ، يخرج من بحره مرجان الحكم ، وينبت بثجاجه ألفاف النعم في رياض الهمم ، لقد حفظ علوم المسلمين ، وأربى على كل أهل دين)[٢] .

٥-**قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام**- وكان أحد المجتهدين- : " ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل " المحلى" لابن حزم ، وكتاب " المغني " للشيخ موفق الدين. [٣]

ب : أقوال المعارضين لابن حزم

الإمام أبو بكر بن العربى[٤] .

وقد تعرض الإمام أبو بكر بن العربي للإمام ابن حزم في كتاب " القواصم والعواصم " وعلى الظاهرية ، فقال : (هي أمةٌ سخيفةٌ تسورت على مرتبة ليست لها،

---

(١) الإمام الحميدى ، انظر جذوة المقتبس ، جـ ٢ ، صـ ٢٩١

(٢) ابن حجر العسقلانى ، لسان الميزان / جـ ٤ ، صـ ١٩٩ .

(٣) ابن حجر العسقلانى ، لسان الميزان / لابن حجر العسقلانى ، جـ ٤ ، صـ ٢٠١ . يقول الذهبى رحمه الله معلقا على كلام العز بن عبد السلام : " لقد صدق الشيخ عز الدين ، وثالثهما السنن الكبرى للبيهقة ، ورابعها التمهيد لابن عبد البر ، فمن حصل هذه الدواوين وكان من أذكياء المفتين وأدمن المطالعة فيها فهو العالم حقا ."

(٤) هو الامام العلامة الحافظ القاضى ابو بكر بن العربى الاندلسى الاشبيلى كان ابوه أبو محمد من كبار أصحاب ابن حزم الظاهرى بخلاف ابنه القاضى ابى بكر فإنه منافر لابن حزم محط عليه بنفس ثائرة له تصانيف منها : أحكام القران ، عارضة الأحوذى ، المحصول فى الأصول ، توفى علم ٥٤٣ هـ . انظر سير اعلام النبلاء للذهبى (٢٠ / ١٩٧) ، وطبقات المفسرين للسيوطى صـ ٩٠

وتكلمت بكلام لم نفهمه تلقوه من إخوانهم الخوارج حين حكم علي- رضي الله عنه- يوم صفين ، فقالت : لا حكم إلا لله ، وكان أول بدعة لقيت في رحلتي القول بالباطن ، فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخيف كان من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم ، نشأ وتعلق بمذهب الشافعي ، ثم انتسب إلى داود ، ثم خلع الكل واستقل بنفسه وزعم أنه إمام الأمة يضع ويرفع ، ويحكم ويشرع ، ينسب إلى دين الله ما ليس فيه ، ويقول عن العلماء ما لم يقولوا تنفيراً للقلوب منهم ، وخرج عن طريق المشبهة في ذات الله وصفاته ، فجاء فيه بطوامٍ ، واتفق كونه بين قوم لا بصر لهم إلا بالمسائل ، فإذا طالبهم بالدليل تضاحك مع أصحابه منهم ، وعضدته الرئاسة بما كان عنده من أدبٍ ، وبشبه كان يوردها على الملوك ، فكانوا يحملونه ، ويحمونه، بما كان يلقي إليهم من شبه البدع والشرك .)[1] .

رد الإمام شمس الدين الذهبي عليه :

قال الإمام شمس الدين الذهبي ردًا على ما ذكره الإمام أبو بكر بن العربي في كتابه العواصم من القواصم :

[لم ينصف القاضي أبو بكر -رحمه الله – شيخ أبيه في العلم ، ولا تكلم فيه بالقسط ، وبالغ في الاستخفاف به ، وأبو بكر على عظمته في العلم لا يبلغ رتبة أبي محمد ، ولا يكاد ، فرحمهما الله وغفر لهما][2] .

جـ : المنتقدون لعلمه المنصفون له

وسأذكر ثلاثة منهم على سبيل المثال وهم على النحو التالي مرتبين تاريخياً من الأقدم للأحدث :

(١) الإمام الذهبى ، سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٨٩)
(٢) المرجع السابق ، (١٨ / ١٨٩ – ١٩٠) .

١- **قال الإمام ابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨ هـ) :** " وابن حزم مع كثرة علمه وتبحره وما يأتى به من الفوائد العظيمة ، له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه كما يعجب مما يأتى به من الأقوال الحسنة الفائقة "

وقال أيضًا : (وإن كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدفعه إلا مكابر ويوجد فى كتبه من كثرة الاطلاع على الأقوال والمعرفة بالأحوال والتعظيم لدعائم الإسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره ، فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح ، وله من التمييز بين الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء)[١] .

٣ – **يقول عنه الإمام الذهبي (٦٧٣ – ٧٤٨ هـ) :** [ولى أنا ميلٌ إلى أبى محمد لمحبته فى الحديث الصحيح ومعرفته به ، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل والمسائل البشعة فى الأصول والفروع وأقطع بخطئه في غير ما مسألة ، ولكن لا أكفره ولا أضلله وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمين وأخضع لفرط ذكائه وسعة علومه][٢] .

٣- قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ) :

(وكان واسعُ الحفظ جداً إلا أنه لثقته بحافظته كان يهجم على القول في التعديل والتجريح وتبيين أسماء الرواة ، فيقع له من ذلك أوهام شنيعة)[٣] .

رابعًا : محنته

تعرض الإمام ابن حزم – رحمه الله – إلى بلايا وفتنٍ كثيرةٍ ، فقد تعرض للسجن والتعذيب والنفي والتغريب والأسر كذلك ، وسأبين باختصارٍ أسباب هذه المحن ومنها:

---

(١) ابن تيمية ، مجموع فتاوى ، جـ ٤ ، صـ ٢٠ ، صـ ٣٩٦ ، جمع وترتيب / عبد الرحمن العاصمى النجدى الحنبلى ، مؤسسة الرسالة – بيروت سنة الطبع ١٩٩٧ م .

(٢) الإمام الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، (١٨ / ٢٠١ ، ٢٠٢)

(٣) ابن حجر العسقلاني ـ لسان الميزان ـ ج ٤ ـ ص ١٩٨

١- حدة لسانه وقلمه

فقد ذهب معظم المؤرخين الذين أرَّخوا لحياة الإمام ابن حزم الظاهري ، إلى أن السبب الرئيس للمحن المتتالية التي أصابته هو حدة لسانه وقلمه ، وأنه لم يتأدب مع الأئمة في الخطب ، وكان إذا عارضه أحد في مسألة صار كالبحر المغرق والجحيم المحرق ، فنفرت منه النفوس ، واستحكمت عداوته في القلوب ، فألَّبوا عليه الناس ، ومنعوا طلبة العلم من الجلوس إليه ، وطورد وشرد عن دياره ، وأحرقت كتبه في محضر عام بأشبيلية وقرطبة ، وعاش منفيًّا قرابة العشرين سنة .

يقول الإمام الذهبى –رحمه الله– :(وقد امتُحن ابن حزم وشرّد عن وطنه ، وجرت له أمور، وتعصَّب عليه المالكيَّة لطول لسانه ووقوعه في الفقهاء الكبار، وجرى بينه وبين أبي الوليد الباجيّ مُنَاظرات يطول شَرْحها.

ونفرت عنهُ قلوب كثير من النَّاس لحطِّه على أئِمَّتِهم وتخطئته لهم بأفجّ عبارة ، وأفظ محاورة ، وعملوا عليه عند ملوك الأندلُس وحذروهم منه ، فأقْصته الدّولة وشرّدتهُ عن بلاده ، حتى انتهى إلى بادية لَبلة ، فتُوُفّي بها)[١] .

٢- السياسة

فقد أخرج على جهة التغريب عندما استولى آل حمود[٢] على قرطبة .

ومن المحن التى واجهته أنه تولى الوزارة عند عبد الرحمن المرتضى ، ثم إنه سار معه فى جيش يريد الاستيلاء على غرناطة[١] لكن المرتضى اغتيل ، وكان مصير

---

(١) الذهبى ، [تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام]ـ ، صـ ٧٥ ، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م

(٢) أول من حكم منهم فى تلك الفترة على بن حمود الناصر ، وقد ولى عامين غير شهرين ثم قتل سنة ٤٠٨هـ ، ثم تولى أخوه القاسم بن حمود ، ثم قام عليه يحيى بن على بن حمود بمالقة ، ثم عاد القاسم وانقلب عليه وبقى على الحكم إلى أن تولى الحكم المستظهر بالله وذلك عام ٤١٤ هـ . انظر جذوة المقتبس صـ (٢٢: ٢٥)

الإمام الأسر مدة من الزمن ولم يتوقف عن تفعيل اتجاهاته السياسية ، (وظل متمسكًا بشرعية الخلافة الأموية ، ولم يتزحزح عن رأيه أبدًا ؛ حتى في زمن ملوك الطوائف ؛ وحتى عندما سقطت الخلافة الأموية وأصبحت نظرية مُجردة لا صلة لها بالواقع ، ولا مطمحَ أن تعود ، ولكنه لم يشارك في لُعبة السياسة المعقدة التي كانت تجرى بعد ذلك في عصر ملوك الطوائف ، ولم يحتضن فكر أى جماعة معينة)[٢] ، بعدما ذم ملوك الطوائف جميعهم فى رسالة سماها " التلخيص لوجوه التخليص " وحمل عليهم فى غير هوادة ، وكان ذلك من أكبر أسباب اضطهاده وسببًا فى محنته.

٣- إحراق كتبه

من أعظم المحن التي واجهت الإمام ابن حزم بل وواجهت الأمة الإسلامية كلها هي إحراق كتبه ، والذي سبب له محنة نفسية شديدة أيام المعتضد ابن عباد .

ولعل السبب الظاهر لهذا الإحراق هو تأليب الفقهاء عليه وتحريضهم الأمراء ، وشكواهم من أنه يهاجم المذهب المالكي والمذاهب الأخرى المتبوعة ويخرج على الناس بفقهٍ لا يتصل بفقه الأئمة الأربعة بنسب أو سبب .

ومن شعره يصف ما أحرق المُعتضد بن عبَّاد له من الكُتُب :

فإن تحرِقوا القِرْطَاس لَا تُحرِقوا الّذي ... تضمّنه القِرْطَاس بل هو في صدري
يَسيرُ معي حيث استقلَّتْ رَكَائِبي ... وينزلُ إنْ أَنـزَل ويُدفن فـي قبري
دَعُونِي مِن إحـرَاقِ رقٍّ وكاغّـدٍ ... وقولوا بعلمٍ كَيْ يَرَى النَّاسُ مَنْ يَدْرِي
وإلا فَـعُودُوا فـي المَكَاتِـبِ بدْأَةً ... فَكَم دُونَ ما تبغونَ لِلَّهِ مِـن سِـتْرِ
كذاك النَّصَارى يحـرقون إذا عَلَت ... أَكُفُّهُمُ الـقُرْآن فـي مُـدُنِ الثَّغْرِ

---

(٣) غرناطة : مدينة بالأندلس محدثة من أيام الثوار بالأندلس وتعرف بغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهودا وهى اليوم مدينة كبيرة قد لحقت بأمصار الأندلس المشهورة .

(١) د : الطاهر أحمد مكى ، دراسات عن ابن حزم ، صـ ٨١ ، ط / دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٩٣ م .

ولكن عند التحقيق التاريخي والتوثيق البحثي للمحن التي تعرض لها الإمام ابن حزم الظاهري ، نكتشف أن أسباب محنته أكبر وأبعد من شدته النقدية وحدته وسلاطة لسانه ، **بل نستطيع أن نقول بكل اقتناع** : إن حدة لسانه وقلمه ما هي إلا عارض للأسباب الرئيسية التي كانت وراء المحن التي تعرض لها في حياته .

٤- تشيعه لأمراء بني أمية

ولعل تشيعه لبنى أمية ما كان له بنسب متصل بهم ، فقد ذكر فى نسبه أنه يرجع إلى مولى يزيد بْن أَبِي سُفْيَان بْن حرب بْن أُميّة الأمويّ ، الفارسيّ الأصل ، ثمّ الأندلسيّ القُرْطُبيّ . (ولعله أعلن ولاءه لهم بسبب اختيارهم له وزيرًا بعد أبيه – رحمه الله – فقد تولى الوزارة في بادئ أمره لعبد الرحمن بن المرتضى ، ثم تولى الوزارة لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام بن عبد الجبار ، ثم وزيرًا لهشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك)[1] .

٥- جداله ومناظراته لخصومه

وأرى أن هذا من أقوى أسباب محنة الإمام ابن حزم ، فإن جداله الشديد والحاد مع خصومه من أصحاب الديانات (كاليهودية والنصرانية) وكذلك جداله وتعديه باللسان على الفرق والمذاهب كالأشاعرة والخوارج وغيرهم ... .

٦- دراسته للفلسفة والمنطق

لم ينتشر هذا العلم على نحو واسع ، لصعوبة فهمه ، وارتفاع سقفه وموضوعه ، ولأن دراسته مهنة لا يجنى صاحبها والمتعمق فيها مالاً ولا جاهًا ، وليس بعد دراستها إلا سوء الظن بمن يشتغل بها .

---

(١) إعداد : د / عبد الله سالم عبد الله سعيد الضوابط الفقهية عند ابن حزم من خلال كتابه المحلى (رسالة ماجستير) ، ، صـ ٣٤ ، بتصرف يسير ، الرقم الجامعي (٤٢٤٨٠١٠٣) ، إشراف د / ناصر بن عبد الله الميمان ، ١٤٢٧هـ .

وكان الإمام ابن حزم من الذين اشتغلوا بذلك العلم ودرسوه ، فصار الإمام ابن حزم موضع سخرية الفقهاء والعامة ، لأن الفلسفة [لم تكن يومًا موضع الرضا من عامة المسلمين ، وكان أصحابها يرمون بالزندقة][1] .

لقد كان الإمام يؤمن بجدوى المنطق وقيمته في سلم المعارف الإنسانية واعتباره سبيلاً برهانياً لثبوت التوحيد ومعرفة الشريعة ، ويظهر ذلك في مقدمة كتابه : " التقريب لحد المنطق " إذ اعتبر المنطق وسيلة لفهم الأشياء التي نص الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – عليها وما تحتوي عليها من المعاني التي تقع عليها الأحكام وما يخرج عنها من المسميات وانتسابها تحت الأحكام على حسب ذلك ، بل لا يستجيز الفتيا لمن لم يطلع على المنطق ، ذلك أنه جاهل بحدود الكلام وبناء بعضه على بعض وتقديم المقدمات ، وإنتاجها النتائج التي يقوم بها البرهان .

وهذا المنهج الذى ذهب اليه الإمام هو الذى عابه عليه تلميذه " صاعد " حينما قال :

[ثم نبذ ابن حزم – العمل فى السياسة وفتن بعلم المنطق ، وألف فيه كتابًا أسماه " التقريب لحد المنطق " بسط فيه القول على تبيين طرق المعارف ، واستعمل أمثلة فقهية وجوامع شرعية ، وخالف أرسطو واضع هذا العلم فى بعض أصوله] [2] .

ولا شك أن أكثر الذين حكموا على هذه العلوم لم يقفوا على معانيها أو يطالعونها بالقراءة ، والناس سراعٌ فى معاداة ما جهلوه ، أو أنهم قرأوها بأهواء زائفة وبصائر مريضة .

أقول : وقد رد الإمام – رحمه الله – على الفلاسفة وعلى أهل المنطق فنقض بنيانهم من القواعد ، ورد على كل الفرق المخالفة لصحيح ما ورد فى القرآن وسنة

(١) خوليان ريبيرا ، التربية الإسلامية فى الأندلس ، صـ ٧٠ ، بتصرف يسير ، ترجمة / د : الطاهر أحمد مكي ، الطبعة الثانية ، ط / دار المعارف ، سنة الطبع ١٩٩٤ م .
(٢) المرجع السابق صـ ٨ .

النبي – صلى الله عليه وسلم – وجادلهم وأعلن سقوطهم ، وأفسد شبههم ، ولا شك أن دراسته للفلسفة والمنطق أفادته كثيرًا فى الرد على أصحاب تلك الفرق والمؤمنين بها .

وهكذا ؛ لا تجد بابًا من أبواب العلم إلا خاض فيه الإمام خوض العارف بمراميه ، المُدرك بمغازيه ، فيقبل الحق الذي يعتقده حقًّا ، ويردُّ في عنفٍ ما يراه باطلاً ، ويردُّ المسببات إلى أسبابها ، والنتائج إلى مقدماتها ، والأقوال إلى غايتها ، في قلمٍ مبينٍ مصوِّر، وعبارةٍ صريحةٍ واضحةٍ .

٧- دراسته للمذهب الشافعي

قد يكون الإمام قد التقى ببعض علماء المذهب الشافعي ممن رحلوا إلى قرطبة ، واكتسب من أحدهم توجيهًا ، وإن لم يكتسب منه تعليمًا ، حيث كان في سن تجاوزت الثلاثين سنة .

بيد أن الفقه الشافعي لم يكن مشهورًا في الأندلس ، إلا أنه لابد من وجود علماء من الشافعية .

وكان تلقيه للفقه الشافعي من بطون كتب الشافعية ، حتى تمذهب على مذهب الشافعي ، ثم أخذ فى دراسة المذهب الظاهري وتقلده ، وكان ذلك مدعاة لحقد العلماء والفقهاء عليه فاجتمعوا على إحراق كتبه ، واشتداد محنته .

والحق الذي أراه أن الإمام ابن حزم تميز وانفرد بعقلية فذة ، ميزته عن غيره من علماء عصره وأقرانه ، فحسدوه وحقدوا عليه وتمالئوا عليه ، ومع الاستقراء التام وتتبع معرفة أخلاقه ؛ نجده مثالًا للعالم الرباني الذي لا يخشى في الله لومة لائم دون محاباة لأحد على حساب دينه وإيمانه ، وما حدة لسانة وجرأته إلا رد فعل لما كان يحدث له.

خامساً : وفـــــاته

أمضى الإمام – رحمه الله – عشرين سنة تقريباً فى قريته " منت ليشم " ينشر علمه للناس من عامة المقتبسين منه من صغار طلبة العلم ، الذين لا يخشون فيه الملامة يحدثهم ويفقههم ويدارسهم ، ويواظب على التأليف والتصنيف حتى كان أكثر أهل العلم تصنيفًا وتأليفًا .

[وفى ليلة الاثنين ٢٨ من شعبان سنة (٤٥٦هـ) (١٥ يوليو ١٠٦٤ م)][1].

وبعد حياة حافلة بالإنتاج العلمي ، والجدال من أجل الحق ، والصدق في الإيمان توفى الإمام ابن حزم – رحمه الله – بعد عمرٍ يبلغ اثنتين وسبعين سنة .

تلك رؤية مختصرة لحياة الإمام – رحمه الله – والتطورات الهامة في حياته التي أثّرت في شخصه ، وفكره ، فأثمرت وأنتجت فكرًا جديدًا ومذهبًا رائعًا ، واجتهد لنفسه على قواعد أهل الظاهر ، ولزم دعوة الظاهرية يؤيدها وينشرها في جُل تصانيفه معتمدًا على منهج واضح في عرض آرائه .

تُوفى الإمام – رحمه الله – بعد حياة مليئة بالعلم والتعليم ، والتأليف النافع إضافة إلى المشاركة في الحياة السياسية والعلمية ، تاركًا وراءه الكثير من المؤلفات والتصانيف النافعة القيمة بل إنه حفظ لنا الكثير من الأخبار والآثار التي لا تكاد تجدها إلا في كتابه : " المحلى " .

---

(١) لمؤلفه بلاسيوث: ابن حزم فى قرطبة ، صـ ٢٤٠ ، وانظر : ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق ، تأليف : وديع واصف مصطفى (رسالة ماجيستير فى الفلسفة – كلية الآداب جامعة الاسكندرية) صـ ٧٨

رحل الإمام – رحمه الله – تاركًا خلفه طلاب العلم والعلماء مذهولين من شخصيته الفذة وما كان يملكه من عقلية مبهرة ، ومذهب فقهي جديد وفريد ، على ما كان يؤخذ عليه من انفرادات في الرأي ، وحدة في الطبع .

ولقد أراد الله أن ينصف هذا العالم الذي عاش غريبًا بعلمه وأخلاقه ، فوقف المنصور الموحدى (ثالث خلفاء الموحدين) على قبره خاشعًا وهو يشهد شهادة التاريخ قائلاً : **[كل الناس عيال على ابن حزم]**

فرحم الله الإمام ابن حزم رحمة واسعة على ما قدم للأمة من فقه وعلم ، شهد له به الصديق والعدو ، والقاصي والداني ، ونسأل الله أن يغفر له خطأه ، ولعل تلك الزلات والأخطاء ذابت في بحر حسناته ؛ وكل يؤخذ منه ويرد ، إلا المعصوم – صلى الله عليه وسلم –

وليكن قولنا فيه كقول الإمام المنصف شمس الدين الذهبي – رحمه الله – حيث قال : " وأقطع بخطئه في غير ما مسألة ، **ولكن لا أكفره ولا أضلله** ، وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمين " .[1]

(١) الإمام الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، (١٨ / ٢٠١ ، ٢٠٢)

المبحث الثانى

الأصول المنهجية النقلية للإمام ابن حزم

المطلب الأول : المصادر العامة للإمام ابن حزم

أولا : القران الكريم

وهو أول المصادر وأهمها ليس عند الإمام فحسب ، بل عند كل أئمة التشريع والفكر ، لأنه فيصل التفرقة بين الحق والباطل ، وهو أشهر من أن يعرف .

ولا خلاف بين المسلمين أن القرآن حجة على الجميع ، وأنه المصدر الأول للتشريع ، بل حجة على جميع البشر ، والبرهان على حجيته : أنه من عند الله ، والبرهان على أنه من عند الله : إعجازه ، وبلاغته ، ودلالاته ... وإخباره بوقائع تحدث فى المستقبل ، إخباره بوقائع الأمم السابقة المجهولة أخبارها عند العرب جهلا تاما ، لعدم وجود ما يدل عليها من آثار ومعالم ، يقول القرآن الكريم : (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)) **سورة هود** .

أضف إلى ذلك : [إشارته إلى بعض الحقائق الكونية التى أثبتها العلم الحديث ، والتى لم تكن معروفة من قبل ، من ذلك قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)) **سورة الأنبياء** ، مع اشتماله على أحكام كثيرة :

منها ما يتعلق بالعقيدة كالإيمان بالله والملائكة وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ومنها ما يتعلق بتهذيب النفوس وتقويمها ، ومنها ما يتعلق بأقوال وأفعال المكلفين ، ومنها ما يتعلق بأحكام الأسرة من زواجٍ وطلاقٍ ولعانٍ ، ومنها ما يتعلق بالقضاء والشهادة

واليمين ، ومنها ما يتعلق بالجرائم والعقوبات ، ومنها ما يتعلق بنظام الحكم ، وجانب كبير تعلق بمعاملة الدولة الإسلامية للدول الأخرى] [١].

وكان القرآن هو المصدر الأول من المصادر المنهجية للإمام – رحمه الله – ولذلك كان يقول: [ولما تبين بالبراهين والمعجزات ، أن القرآن هو عهد الله إلينا والذى ألزمنا الإقرار به ، والعمل بما فيه ، وصح بنقل الكافة الذى لا مجال للشك فيه، أن هذا القرآن هو المكتوب فى المصاحف ، المشهور فى الآفاق كلها ، وجب الانقياد لما فيه فكان هو الأصل المرجوع إليه ، لأننا وجدنا فيه :

(مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)) سورة الأنعام

فما فى القرآن من أمر أو نهى فواجب الوقوف عنده ، ويجب أن نحمل أوامر القرآن ونواهيه على الظاهر ، والوجوب والفور .

ويقول : ولا خلاف بين أحد من الفرق المنتمية إلى المسلمين من أهل السنة فى وجوب الأخذ بما في القرآن ، وأنه هو المتلو عندنا نفسه][٢] .

إنه يقرر بذلك أن القرآن المجيد بين واضح بذاته ، ويوضح بعضه بعضًا ، أو يتبين من السنة الكريمة ، وليس فى كتاب الله من المتشابهات سوى الحروف المقطعة التى ابتدأت بها السور مثل : (ق ، ص ، الم) ، وغيرها من فواتح السور التى استأثر الله بعلمها ، وكذلك الأقسام التى أقسم الله بها سبحانه فى كتابه مثل قوله تعالى: { وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) } سورة المرسلات ، (وما عدا هذين الأمرين فبينٌ

(١) د / عبد الكريم زيدان ، الوجيز فى أصول الفقه ، صـ ١٢١ ، ١٢٢ ، ط / مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، سنة الطبع ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
(٢) الإمام ابن حزم ، الإحكام فى أصول الأحكام، صـ ١١١ ، ط / دار الحديث القاهرة .

واضحٌ لمن طلبه وعنده آلات الفهم من معرفة بدقائق اللغة ، ومعرفة بالصحاح من السنة)[1] .

ولذا يقول العلامة ابن حزم : [والمتشابه من القرآن هو الحروف المقطعة والأقسام فقط ، إذ لا نص فى شرحها ولا إجماع ، وليس فيما عدا ذلك متشابه على الإطلاق ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (إن الحلال بيّن والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وأن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[2].

فصح أنه يعلمها بعض الناس ، قال تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)) سورة النحل ، ويأخذ الإمام ابن حزم بظاهر القرآن كما تدل عليه اللغة][3] .

ولأنه يأخذ بالظاهر دائمًا ، ولا يلتفت إلا إليه ، كان كل لفظٍ فى القرآن يؤخذ على مقتضى ظاهره ، فالأمر للوجوب إلا إذا قام دليل من نص آخر على غير ذلك ، ويثبت الفور ، أى أنه يجب بمجرد النص والعلم من غير تراخٍ ، إلا إذا جاء نصٌ آخر ظاهرٌ يثبت غير ذلك .

---

(١) أ / محمد أبو زهرة ، ابن حزم، صـ ٢٨٥

(٢) رواه البخارى فى صحيحه (١ / ١٧٣) برقم ٥٢ ، كتاب : الإيمان ، باب / فضل من استبرأ لدينه ، ط / الايمان ، بدون تاريخ للطبعة .

(٣) د / محمود على حماية ، ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان ، صـ ١١٤ ، الطبعة الأولى ، سنة الطبع ١٩٨٣ م .

ثانيًا : السنة النبوية

أما السنة فهى الموافقة للقرآن ، وتكون حينئذ واردة مورد التأكيد ، فيكون الحكم مستمدًا من مصدرين : القرآن مثبتًا له ، والسنة مؤيدة .

ومن أمثلة ذلك : قوله عليه – الصلاة والسلام – : (اتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله)[١] ، فإنه يوافق قوله تعالى : " وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) " سورة النساء .

والسنة أيضًا مبينة للقرآن ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

الأحاديث التى جاءت فيها أحكام الصلاة ، فقال – صلى الله عليه وسلم – " صلوا كما رأيتمونى أصلى "[٢] ، وهى أيضًا المخصصة لعموم القرآن ، كالحديث الذى بين أن المراد من الظلم فى قوله تعالى : (الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢)) سورة الأنعام هو الشرك ، فقد فهم بعض الصحابة منه العموم ، حتى قالوا : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " ليس بذاك ، إنما هو الشرك "[٣].

والسنة كذلك مقيدة للمطلق من نصوص القرآن .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه برقم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، كتاب – الحج ، باب : حجة النبى صلى الله عليه وسلم ، ط / المكتب الثقافى ، بدون .
(٢) رواه الدارقطنى فى سننه ، كتاب الصلاة ، باب : فى ذكر الأمر بالأذان حديث (١ ، ٢) ، ت / عادل أحمد عبد الموجود ، وآخرون ، ط / دار المعرفة بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.
(٣) أخرجه البخارى (١ / ١٠٩) ، كتاب الإيمان ، باب : ظلم دون ظلم ، حديث رقم ٣٢ .

ومثال ذلك : الأحاديث التى بينت المراد من اليد فى قوله تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)) المائدة ، فبينت السنة أنها اليمنى .

والسنة موضحة للمشكل من فهم نصوص القرآن .كالحديث الذى بين المراد من الخيطين فى قوله تعالى : (كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ.....(١٨٧)) سورة البقرة ، فقد فهم بعض الصحابة – رضى الله عنهم – أن المراد بالخيطين : العقال الأبيض والعقال الأسود ، فقال النبى – صلى الله عليه وسلم – : (هما بياض النهار وسواد الليل)[١] .

ومن ثم اهتم عالمنا الجليل بالسنة اهتمامًا بالغًا ، فهو يقول متحدثًا بنعمة الله عليه:

[إننا قد حصلنا بروايتنا وضبطنا ولله الحمد على كل خبر صح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ببرهانٍ واضحٍ ، وهو أن المشهور من المسندات والمصنفات الموعية للأخبار ، فقد جمعناها ، ولله الحمد ، ولا يشذ عنا خبر فيه خير أصلاً ، وقد أحطنا بما يحتج به المخالفون والموافقون صحيح أخبار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وجمهور ما رواه المستورون ممن لم يبلغوا مبلغ أن يحتج بنقلهم ، هذا أمر نهتف به ونعلنه ، فمن استطاع إنكارًا فليبرز صفحته ، ولينظر مناظرة العلماء ، فمن عجز عن ذلك فليسأل سؤال المتعلمين ، أو ليسكت سكوت أهل الجهل الخبير بجهلهم][٢] .

وبهذا النص يعتبر الإمام ابن حزم أن القرآن والسنة جزءان كلاهما يتمم الآخر ، ويسميهما النصوص فإنه بعد أن ثبتت حجة السنة بالقرآن أصبحت قسمًا متممًا له .

---

(١) صحيح : رواه البخارى فى صحيحه ، (٨ / ٢٢٢) ، برقم ٤٥١٠ ، (٦٥ – كتاب تفسير القران) ، باب ٢٨ ، ت / ابن باز ، ط / الايمان .
(٢) الإمام ابن حزم ، النبذ ، صـ ٣٨ ، ت / الكوثرى .

يقول العلامة ابن حزم فى ذلك : [القرآن والخبر الصحيح بعضهما مضافٌ إلى بعض ، وهما شيءٌ واحدٌ فى أنهما من عند الله تعالى ، وحكمهما حكم واحد فى باب وجوب الطاعة لهما ، **قال تعالى :** (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١))] سورة الأنفال .

والسنة عنده على ثلاثة أقسام :

١- قول النبى – صلى الله عليه وسلم – .

٢- فعل النبى – صلى الله عليه وسلم – .

٣- إقرار النبى – صلى الله عليه وسلم – وعدم إنكاره .

قال : [فحكم أوامره – صلى الله عليه وسلم – الفرض والوجوب – ما لم يقم دليل على خروجه من

باب الوجوب إلى باب الندب ، أو سائر وجوه الأوامر ، وحكم فعله الإئتساء به فيه ، وليس يجب ، إلا أن يكون تنفيذًا لحكم أو بيانًا لأمر ، أما إقراره على ما علم وترك إنكاره إياه فإنما هو مبيح لذلك الشيء فقط ، وغير موجب له ولا نادب إليه لأن الله عز وجل افترض عليه التبليغ وأخبره أنه يعصمه من الناس ، وأوجب عليه أن يبين للناس ما نزل إليهم][1] .

والواضح من هذا النص أن الإمام يرى وجوب الاقتداء بأقواله فقط – صلى الله عليه وسلم – ، وأما أفعاله فقدوة وليست واجبة التنفيذ ، وأما إقراره وعدم إنكاره فحكمه الإباحة ، **<u>وهذا لا يصح</u>** إذ الواجب اتباع أقواله وأفعاله –صلى الله عليه وسلم– .

ويشترط كذلك فى قبول الحديث ، اتصال السند دائمًا من عدلٍ إلى عدلٍ حتى يصل السند إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى ذلك لا يقبل المرسل من

(١) الإمام ابن حزم ، الإحكام، جـ ١ ، صـ ٨٨

الأحاديث ، فهو يقول فى تأييد بعض الأحاديث المتصلة السند والتى تتأيد بالمرسل :

[إن المرسل فى نفسه لا تجب به حجة ، فكيف يؤيد غيره ما لا يقوم بنفسه][1]

ثالثاً : الإجماع

والإجماع : (هو اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – على أمرٍ من الأمور)[2] .

أقول : وغالب الأصوليين اتفقوا على هذا التعريف .

وقد اتفق المسلمون على وقوع الإجماع، وعلم المجتهدين به ، وصحة نقله للأمة على ما هو معلوم من الدين بالضرورة .

(ويسميه الإمام الشافعى **إجماع العامة** ، وذلك كإجماعهم على وجوب الصلاة والزكاة ، وعلى أن الصلوات المفروضة خمس فى اليوم والليلة ، إلى غير ذلك من كل أمر يكفر جاحده ، أو المتردد فى ثبوته ، حتى لو كان مستند الإجماع ظنيًا فى ثبوته، أو فى دلالته ، والإجماع بهذه الصفة ينفى ظنية الدليل ، ويصبح الدليل بعده قطعيًا لا يجوز النظر فيه نظرًا يخالف ذلك الإجماع)[3].

(وقد دل القرآن على ثبوت حجية الإجماع فقال تعالى : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)) سورة النساء

وجه الدلالة من هذه الآية : أن الله تعالى توعد على مخالفة سبيل المؤمنين ، فيكون سبيلهم هو الحق الواجب الاتباع ، وغيره هو الباطل الواجب تركه ، وما يتفقون

(١) المرجع السابق ، صـ ١٦٥ ، باب : أقسام السنن
(٢) المرجع السابق ، صـ ١٩٢ ، باب : فصل فى المرسل
(٣) الإمام البيضاوى ، منهاج الوصول إلى علم الأصول ، صـ ٨١

عليه يكون هو سبيلهم قطعًا ، فيكون هو الحق قطعًا ، فيكون هو الواجب الاتباع حتمًا ، وليس معنى الإجماع إلا هذا)[١].

وقوله – صلى الله عليه وسلم– " لا تجتمع أمتى على ضلالة "[٢] .

وقوله – صلى الله عليه وسلم – : " ما رآه المسلمون حسنا – فهو عند الله حسن "[٣].

يقول الرازى – رحمه الله – : (وهذه الأخبار وغيرها كلها مشتركة فى الدلالة على معنى واحد ، وهو : أن الأمة بأسرها لا تتفق على الخطأ ، وإذا اشتركت الأخبار الكثيرة فى الدلالة على شىء واحد ، ثم إن كل واحد من تلك الأخبار يرويه جمع كثير – صار ذلك المعنى مرويًا بالتواتر من جهة المعنى)[٤] .

والإجماع مصدر مهم من مصادر الفقه الإسلامي ، ودليل من أدلة الأحكام مشهود له بالصحة والاعتبار ، فيمكن الاستفادة منه فى معرفة الأحكام الشرعية للوقائع الجديدة وهى كثيرة فى وقتنا الحاضر ، الا أن هذه الاستفادة لا يمكن أن تتم إلا اذا تهيأ جمع الفقهاء ، وعرض المسائل عليهم ومعرفة آرائهم فيها .

---

(١) د / على جمعه ، الإجماع عند الاصوليين ، صـ ١٥ : ١٧ ، ط / علاء سرحان – الرسالة الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٩م .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ، (٦ / ٣٦٩) من حديث أبى بصرة الغفارى ، وأخرجه أبو داود من حديث أبى مالك الأشعرى ، كتاب الفتن ، رقم الحديث (٤٢٥٢) وسكت عنه ، والترمذى من حديث عبد الله بن عمر، برقم (٢٢٥٥) وقال غريب ، وابن ماجه من حديث أنس بن مالك ، كتاب الفتن برقم (٣٩٥٠) والحاكم فى المستدرك من حديث ابن عباس ، (١ / ١١٦)

(٣) أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن مسعود برقم (رقم ٣٦٠٠) و الطيالسي في " مسنده " (ص ٢٣) و أبو سعيد ابن الأعرابي في " معجمه " (٨٤ / ٢) من طريق عاصم عن زر بن حبيش عنه . وهذا إسناد حسن ورواه الحاكم " و قال : " صحيح الإسناد " ووافقه الذهبي وقال الحافظ السخاوي:"هو موقوف حسن " قلت و كذا رواه الخطيب في "الفقيه والمتفقه

(٤) الإمام الرازى ، المحصول فى علم أصول الفقه، جـ ٣ ، صـ ٨١٨ ، ت / عادل عبد الموجود وآخرون ، ط / مكتبة نزارمصطفى – مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ، سنة الطبع ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م

وقد اكتسب الإجماع بكونه مصدرًا من مصادر التشريع دورًا هامًا فى تاريخ علم الأصول ، وأخذ بحق هذه الأهمية ، ليمثل سلطة على تفسير الأصوليين ، فلم يكن أحد يجرؤ على مخالفة

الإجماع فى أى مسألة دينية ، وهذا ما عزز من سلطته المعرفية ، خصوصًا بعد ما قعّد له الأصوليون فى علمهم ابتداءً من رسالة الإمام الشافعي الذى كان يفسر معنى أمر النبى – صلى الله عليه وسلم – بلزوم الجماعة بقوله : [ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئاً ، فلم يكن للزوم جماعتهم معنى ، إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما.

ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم ، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها إنما تكون الغفلة فى الفرقة ، فأما الجماعة فلا يمكن فيها غفلة عن معنى كتاب ولا سنة ولا قياس إن شاء الله]**(١).**

لقد أصبح بذلك الإجماع مفهومًا معرفيًا ، وغدا مصدرًا من مصادر التشريع المعتمدة منذ اللحظة الأولى التى اتخذه بها الشافعى – رحمه الله – مصدرًا معتبرًا لديه .

أما الحافظ ابن حزم فاتخذ الإجماع مصدرًا لمنهجيته فى الأحكام الشرعية بيد أنه عمل على تقييد الإجماع للصحابة دون غيرهم .

فقال : [لا إجماع إلا إجماع الصحابة – رضى الله عنهم – واحتج فى ذلك بأنهم شهدوا التوقيف من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد صح أنه لا إجماع إلا عن توقيف ، وأيضًا فإنهم رضى الله عنهم – كانوا جميع المؤمنين لا مؤمن من الناس سواهم ، ومن هذه صفته فإجماعهم هو إجماع المؤمنين ، وهو الإجماع

(١) الإمام الشافعى ، الرسالة ، صـ ٣٠٩ ، ط / دار الكتاب العربى ، ت / خالد السبع العلمى ، سنة الطبع ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

المقطوع به ، وأما كل عصر بعدهم فإنما بعض المؤمنين لا كلهم ، وليس إجماع بعض المؤمنين إجماعًا ، إنما الإجماع إجماع جميعهم ، وأيضًا فإنهم كانوا عددًا محصورًا ، يمكن أن يحاط بهم وتعرف أقوالهم ، وليس من بعدهم كذلك][1].

فاتفق مع جمهور علماء المسلمين على حجية الإجماع ، واختلف معهم فى أن الإجماع لا يكون إلا من الصحابة ، وكأنه ينكره فى كل عصر ، ولعل كلامه هذا كان من أجل فقهاء المالكية الذين اتهمهم دائمًا بالتقليد والمتابعة دون فكرٍ ولا إمعانٍ .

أقول : وكل إجماع جاء بعد عصر الصحابة فهو إجماع صحيح لقوله –صلى الله عليه وسلم–: " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ."[2] .

وماذا لو أختلف أهل عصر ما فى مسألة من المسائل ، أو نازلة من النوازل وخرج كل فقيه برأيه ؟

إذن فقد ثبت الاختلاف المذموم ، بسبب عدم انعقاد الإجماع الذى ثبتت حجيته بالقران والسنة .

وقد رد الإمام الرازى فى المحصول على كلام العلامة ابن حزم قائلاً : [أما قولهم أن الصحابة هم جماعة المؤمنين كلهم فقد أخرج التابعين من حيز الإيمان وقد دعا لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهل كل الصحابة الذين انعقد لهم الإجماع ماتوا بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ؟ وماذا لو لم يجمعوا فى مسألة ما ، واجمع التابعون عليها ، هل ينعقد بها الإجماع أم لا ؟ ثم إن الذى ذكرتموه يقتضى أنه لو مات واحد من أولئك الحاضرين ألا يبقى إجماع الباقين حجة ، وذلك يفضى

(١) الإمام ابن حزم ، الإحكام فى أصول الأحكام، صـ ٥٥١

(٢) رواه مسلم فى صحيحه مع شرح النووى ، (١٣ / ٧١) برقم ١٩٢٠ ، ٣٣- كتاب الامارة ، باب ٥٣ ، ت / رضوان جامع رضوان ، ط / المكتب الثقافى ، الطبعة الاولى ٢٠٠١م .

إلى سقوط العمل بالإجماع ، وهم لا يقولون به ، ثم إنه يلزمكم ألا يكون إجماع الصحابة حجة ، لاحتمال أن يكون الصحابى الذى مات قبل وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – له فيه قول][1] .

ولعل صياغة الإجماع بالصورة التى عرّفها لنا الإمام ابن حزم مع بيان ماهيته ، فى معنى الإجماع الصحيح فى هذه الحدود الضيقة وحصرها على زمن الصحابة فحسب ، إنما يعنى ذا عدم تقييد حريته أمام الجمود الذى وصف به أتباع المالكية خاصة وأتباع المذاهب الأخرى عامة .

رابعاً : الدليل : اهتم الإمام ابن حزم بالدليل الراجع إلى النص ، واهتم بالنصوص قرآنًا وحديثًا وإجماعًا اهتمامًا بالغًا ، وهذا ما أضفى على توجهه الشرعى تلك العناية الكبيرة بها ، وجعله من أعلام أهل الحديث والأثر ، على أنه لا يلغى دور الحس والعقل ، فهذا الدور يبقى مستمرًا ، لأن الحواس والعقل أصل كل شىء عنده ، وبهما عرفنا صحة القرآن والربوبية والنبوة ، فلم نحتج فى إثباتها بالنص .

وعلى ذلك ليس هناك تعارض بين العقل والنقل ، بل هما متكاملان وكلٌ منهما يسند الآخر ، وعليه فإن كل ما جاءت به الشريعة متوافق مع العقل ، وإذا ما كان هنالك تجاوز من الشريعة للعقل ، وليس تعارض ، **يقول العلامة ابن حزم :** " فهذا غير موجود فيجب أخذه على ظاهره والتوقف فيه ، ولا يعود هذا إلى عدم معقوليته ، ولكنه يعود إلى قصور العقل وعدم قدرته على الإحاطة بمسائل تتجاوز قدراته المحدودة بمعرفة الكيفيات على شاكلته ، ومن هنا يؤكد الإمام أن العقل لا يحكم به على خالقه ، بل لا يوجب تحليلًا أو تحريمًا ، فهذا خارج عن دوره ، وإنما فى

(١) الإمام الرازى ، المحصول فى علم أصول الفقه، جـ ٣ ، صـ ٨٨٧ ، ت / عادل عبد الموجود وآخرون ، ط / مكتبة نزار مصطفى – مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ، سنة الطبع ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

العقل الفهم عن الله لأوامره ، ومعرفة صفات كل ما أدركنا معرفته مما فى العلم ، وأنه على صفة كذا ، وهيئة كذا ، كما أحكمه ربه تعالى ولا زيادة "[١] .

وقد حدد العلامة ابن حزم الدليل الذى يجب الاحتكام إليه فى استخراج الأحكام الشرعية :

(والدليل بهذا الاعتبار يعود إلى الحس والعقل والنصوص ويؤخذ منها ، ، وهو بهذا الاعتبار لُب المنهج الظاهرى ، وبالتالى فلا يوجد فى مفهوم الدليل فرق فى أن يكون عقليًا أو شرعيًا ، وهذا ما بينه الإمام ابن حزم فى نهاية عرضه الدليل : " هذه هى الأدلة التى نستعملها وهى معانى النصوص ومفهومها ، وهى كلها واقعة تحت النص ")[٢]، وبهذا يكون الإمام قد قنن فهمه للدليل بالاستدلال به ، واستنباط الأحكام الشرعية منه عن طريق الحواس لا سيما العقل على رأسها بمرجعية ظاهرية ، فإنه قد فهم الشريعة على أساس من هذه المرجعية ، **لذلك كان يقول** : [لا فرق فيما تصح به الأحكام الشرعية ، وبين ما تصح به القضايا الطبيعية فى مراتب البرهان ، وأنه لا يقدم فيها إلا على ما أوجبته مقدمات مقبولة عن مثلها ، إلى أن تبلغ أوائل الحس][٣].

وهو بهذا ينكر **القياس**[٤] الفقهى ولا يثق به ، ربما لأن القياس عنده لا يتوفر على البرهان القائم باليقين ، فهو إذن ليس قطعى الدلالة عنده ، لذلك استعان بالدليل الذى يقوم على فكرة أن النص لا يعطيك إلا ما فيه ، وتتحقق هذه الفكرة عنده فى يقينية الدليل والبرهان ، حتى غدت صور الدليل بمثابة الوجه الآخر للنص .

---

(١) الإمام ابن حزم ، الإحكام جـ ١ ، صـ ٣١.

(٢) االمرجع السابق ، لابن حزم ، جـ ١ ، صـ ٩٩.

(٣) ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، جـ ٤ ، صـ ٣٠٨.

(٤) القياس في علم أصول الفقه هو الدليل الرابع من أدلة الفقه عند مذهب أهل السنّة، بعد الكتاب والسنة والإجماع، وإنما يعد دليلا شرعيا عند عدم وجود دليل شرعي للحكم من نص من الكتاب والسنة والإجماع، فلاقياس مع النص. انظر الإمام الرازى ، المحصول (٣ / ١٠١٤) ط / مكتبة نزار مصطفى ، الرياض ، ط ٢ / ٢٠٠٤م .

كما استطاع عبر علم المنطق والفلسفة تدعيم رؤيته للدليل فى قراءة النصوص ، وقد أطلق على القياس الأرسطى اسم " **البرهان** " ، تجنبًا لأى لبسٍ دلالى يمكن أن يقع بسبب شيوع استخدام مصطلح القياس بالمعنى الفقهى ، وتقوم فكرة البرهان على فكرة النص نفسه ، فكما أن النص لا يعطيك إلا ما فيه ، فكذلك البرهان لا يمكن أن ينتج لك إلا ما فيه من مقدماتٍ وقضايا .

المطلب الثاني

المصادر الخاصة للإمام ابن حزم

وتنقسم هذه المصادر الى قسمين :

القسم الأول : مصادر خاصة مباشرة

وهى الكتب والوثائق التى كانت بين يديه يستعين بها ، أو ينقل عنها إن لزم الأمر.

ولا شك أن القرآن والسنة المطهرة من المصادر الأساسية لديه ولدى المذهب الظاهرى ، بل هما المصدران الأساسيان لكل المذاهب المتبوعة والمعروفة ، وقد ظهر تأثير القرآن والسنة عليه ورجع إليهما فى تاريخه وحديثه عن الأديان والنحل المختلفة.

أولاً : الكتب والمكتبات

أ – الكتب

١– كتب السيرة النبوية

ففى كتاب الفصل ذكر أهمية كتب السيرة النبوية ، وتحدث عن معجزات الرسول – صلى الله عليه وسلم – وذكر أعلام نبوته – صلى الله عليه وسلم – وذكر فضل الصحابة والمفاضلة بينهم وغير ذلك مما ورد ذكره فى ثنايا الكتاب[١] .

٢– كتب الأدب :

وكان لدراسة كتب الأدب أثرٌ بالغٌ فى تهذيب لغته ، ورقة قلمه شعرًا ونثرًا وبلاغة، وكتابه " طوق الحمامة " يشهد له برقة الأسلوب ، وبلاغة المعنى ، تستشعر من

(١) الفصل ، لابن حزم ، جـ ١ ، صـ ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٧٣ ، (٤ / ٨٧ – ١٥٣)

خلاله أنك أمام أديب وشاعر من الطراز الأول ، [وقد ترجم كتاب " **طوق الحمامة** " إلى عدد من اللغات الأوروبية الحديثة : الإنجليزية والروسية والفرنسية والإيطالية والإسبانية ، وهذه السلسلة من الترجمات تؤكد الاهتمام الذى أثاره الكتاب فى عصرنا خارج دائرة المستشرقين والعاكفين على الدراسات ، واستطاع القرطبي ، علامة عصر الطوائف ، أن يصبح معاصرًا وأن يشد انتباه قطاعات عريضة من المهتمين بالظواهر الأدبية][1] .

٣- التراث التاريخي الإسلامي

لا ريب أن العلامة ابن حزم وهو يكتب موسوعته فى تاريخ الأديان قد أستفاد من ذلك التراث التاريخي والثقافي للشريعة الإسلامية .

يقول الأستاذ جورجى زيدان : [ألف المسلمون فى التاريخ كتبًا لا تحصى ، وما من أمة قبل العصر الحديث بلغت فى هذا العلم ما بلغ إليه المسلمون ، فإن كتب التاريخ الوارد أسماؤها فى " كشف الظنون " (لـ حاجى خليفة) فقط تزيد على (١٣٠٠) ألف وثلاثمائة كتاب غير الشروح والاختصارات وغير ما ضاع من تلك الكتب وأهمل ذكره وهو كثير جدًا][2] .

وقد كان للإمام رسالة مستقلة تسمى : " جمل فتوح الإسلام " ولا ريب عند كتابته لهذه الرسالة أن يكون مرجعه فى ذلك فتوح الشام (للواقدى ٢٠٧ هـ) ، وفتوح مصر

---

(١) د / الطاهر أحمد مكى ، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، صـ ١١٦ ، ط / دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٩٣ م .

(٢) جورجى زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامى ، جـ ٣ ، صـ ١٠٩

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، أبو مروان: عالم الأندلس وفقيهها في عصره. أصله من طليطلة، من بني سُليم ، أو من مواليهم. ولد في إلبيرة، وسكن قرطبة. وزار مصر، ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بقرطبة. كان عالما بالتأريخ والأدب ، رأسا في فقه المالكية. له تصانيف كثيرة، قيل: تزيد على ألف. منها «حروب الإسلام» و «طبقات الفقهاء والتابعين» و «طبقات المحدثين» و «تفسير موطأ مالك» و «الواضحة - خ» في السنن والفقه .

والمغرب لابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ ، وفتوح البلدان للبلاذرى المتوفى سنة ٢٧٩هـ .

(ولا شك أيضًا أنه لم يفته الاطلاع على كل كتب التاريخ الخاصة ببلاد الأندلس ، بداية من شيخ مؤرخى الأندلس " عبد الملك بن حبيب " المتوفى سنة ٢٣٨هـ صاحب كتاب " التاريخ "[١] الذى لا زالت إحدى مخطوطاته فى المكتبة البودلية فى أكسفورد)[٢] مع العلم أن هذه المصادر لا تمثل الصورة الحقيقة للقدر الذى رجع إليه الإمام ابن حزم ، وأعانه فى تأليف كتابه ، بل هذه المصادر قليلة جدًا بالنسبة للقدر الكبير الذى رجع إليه .

أضف إلى ذلك كونه مبتكرًا أكثر من مؤرخ ومؤلف ومصنف وجامع علم ، مبدعًا أكثر من ناقل .

ب- المكتبات

من أهم هذه المكتبات مكتبة " الحكم الثانى " الذى تحدث المؤرخون عن عظمها وتعدد مراجعها كانت تحت يده يستقى منها ، وينهل من رحيق علمها ، [ولعل ما يؤكد كثرة الكتب والمصادر التى كانت فى متناول الإمام ابن حزم تلك الرسالة الجليلة التى كتبها فى فضل علماء الأندلس ، وأخذ

يقارن بين مؤلفات علماء الأندلس وغيرهم من الأقطار الإسلامية الأخرى مما يوضح إمكانات البحث العلمي التى كانت متاحة له بحكم مكانته الاجتماعية ، ومكانة أسرته من قبله][٣] .

---

(١) انظر ترجمته فى الاحاطة ، لابن الخطيب ، جـ ٣ ، صـ ٥٤٨ ، ت / محمد عبد الله عنان ، ط / القاهرة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م .

(٢) تاريخ الفكر الأندلسى ، للمؤلف بلانثيا ، صـ ١٩٣ - ١٩٤

(٣) د / محمود على حماية ابن حزم ومنهجه فى دراسة الاديان ، ، صـ ١٢٠ ، ط / دار المعارف، الطبعة الاولى ، سنة الطبع ١٩٨٣ م .

زيادة على ذلك ما كان فى قرطبة من مكتبات ، ومكتبات بنى أمية والتى أظهر أهلها حبًا للتعليم والكتب والمكتبات ، (ومكتبة ابن فطيس " عبد الرحمن بن محمد بن عيسى ، وكان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء والمسندين " ، الذى ينتسب إلى إحدى الأسر القرطبية الواسعة الثراء ، وكان يملك حيًا بأكمله ، يقوم حول البيت الذى يسكن فيه ، ولكنه أمر بتشييد بناء خاص بالمكتبة ، رسمه المهندسون بفن ، وتستطيع من زاوية معينة أن تشاهد كل الرفوف ، والقاعة الأنيقة ، ... وكان الخازن عليها من أذكى علماء المدينة فهمًا ، ويتولى طبقًا لوظيفته فهرسة الكتب ونسخ ما يحتاج منها إلى مزيد من الدقة والعناية)[1] .

وكانت تضم مكتبته أعظم الكتب والأسفار والمراجع والمصادر والمصاحف .

ثانياً : كتب أهل الكتاب والملل والنحل

وهى الكتب المقدسة لليهود والنصارى (التوراة والإنجيل) وغيرها من الكتب الأخرى للأديان ومذاهب أهل الذمة ، وهذه المصادر نقل منها العلامة ابن حزم ، وقام بتفنيدها ، وتحليل نصوصها وبيان ما تنطوى عليه من كذب وتناقض ، وكتاب " الفصل " اشتمل على عدد غير محصور من النصوص الكثيرة .

ثالثاً : كتب أخرى

١ – كتاب " الميزان " لهشام بن الحكم (ت ٢٠٠هـ)[2] .

---

(١) المؤلف خوليان ريبيرا ، التربية الاسلامية فى الاندلس ، ، ترجمة د / الطاهر أحمد مكى ، صـ ١٦٢ ، ط / دار المعارف ، الطبعة الثانية ١٩٩٤ م .

(٢) هو ابو محمد هشام بن الحكم ، متكلم مناظر ، كان شيخ الإمامية فى وقته ، ولد بالكوفة ، ونشأ بواسط وسكن بغداد وانقطع الى يحيىبن خالد البرمكى ، فكان القيم بمجالس كلامه ونظره ، وصنف كتبا منها الإمامة والميزان الذى ذكره ابن حزم، وكتاب الرد على المعتزلة ، والرد على الزنادقة ، وكتاب المعرفة وغير ذلك من الكتب ولما حدثت نكبة البرامكة استتر ، وتوفى على أثرها بالكوفة حوالى ٢٠٠هـ

ذكره عند الحديث عن " الإمامة والمفاضلة " فقال : (رأيت لهشام بن الحكم الرافضي الكوفي فى كتابه المعروف بـ " الميزان " أن الحسن بن صالح بن حي الهمذانى ، وكان مذهبه أن الإمامة في جميع ولد فهر بن مالك ...)[1] .

٢- كتب عمرو بن الجاحظ : (٢٢٥ هـ)[2] .

وقد أورد العلامة ابن حزم بعض العبارات التى أشارت الى ما نقله عن الجاحظ فقال : (ولولا أن الله قد حكى عن اليهود أنهم قالوا: إن عزيرًا ابن الله ، ويد الله مغلولة ، وإن الله فقير ونحن أغنياء ، وحكى عن النصارى أنهم قالوا: المسيح ابن الله ، وقال : قالت النصارى المسيح ابن الله ، وقال تعالى : { **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ** } لكنت لأن أخر من السماء أحب إلي من أن ألفظ بحرف مما يقولون ، ولكني لا أصل إلى إظهار جميع مخازيهم ، وما يسرون من فضائحهم ، إلا بالإخبار عنهم، والحكاية منهم.)[3] .

[ومن تراث الجاحظ الذى اطلع عليه العلامة ابن حزم كتاب : " البرهان " فقد أورده صاحبنا عند الحديث عن " شنع المعتزلة " قائلاً : " ورأيت للجاحظ فى كتابه " البرهان" : لو أن سائلاً سأله وقال أيقدر الله على أن يخلق قبل الدنيا دنيا أخرى ؟

---

(٣) ابن حزم ، الفصل ، (٤ / ٩٢)

(١) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة.مولده ووفاته في البصرة.له تصانيف كثيرة، منها :«الحيوان» و «البيان والتبيين» و «سحر البيان » و «التاج » ويسمى أخلاق الملوك، و «البخلاء » و «المحاسن والأضداد» و «التبصر بالتجارة » وهو أحد شيوخ المعتزلة وكان فصيحا تدل كتبه على فصاحته وملاحة عبارته وإليه تنسب فرقة الجاحظية من فرق المعتزلة ومات فى المحرم سنة ٢٥٥هـ .انظر : ياقوت الحموى ، معجم الأدباء (٦ / ٧١) .

(٢) الجاحظ ، الرد على النصارى ، صـ ٢٧ ، الطبعة الثانية ، سنة الطبع ١٣٨٢ هـ ، المطبعة السلفية بالقاهرة .

فجوابه نعم ، بمعنى أنه يخلق تلك الدنيا حين خلق هذه فتكون مثل هذه " ويقول مرة أخرى عن الجاحظ : " ما رأينا له فى كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتًا لها... "][1] .

مما يؤكد اطلاعه على أكثر ما كتبه الجاحظ من كتبه والتى كانت موجودة بين يديه .

٣- **كتب عبد السلام الجبائى** : (ت ٣٢١ هـ)[2] وقد أشار إليها الإمام بقوله :

(ورأيت لأبى هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائى ، كبير المعتزلة القطع بأن لله تعالى أحوالًا مختصة به ، وهذه عظيمة جدًا ، إذ جعله حاملًا للأعراض – تعالى الله عن هذا الإفك – ورأيت له القطع فى كتبه كثيرًا يردد القول بأنه يجب على الله أن يزيح علل العباد فى كل ما أمرهم به ، ولا يزال يقول فى كتبه : " إن أمر كذا لم يزل واجبًا على الله "[3] .

ولم تقتصر مصادره على هذه الكتب فحسب ، بل الكثير الذى أشار إليه فى طيات كتبه ومصنفاته ، ، بل والرسائل التي أرسلها لأصدقائه والرسائل التى أرسلت إليه ، وكتاب " المجالس " للأشعرى[4] .

---

(٣) ابن حزم ، الفصل ، ٤ / ١٨١

(١) هو أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائى من شيوخ المعتزلة ، وإليه تنسب طائفة البهشمية من المعتزلة من مؤلفاته : الجامع الكبير ، والنقض على أرسطو فى الكون والفساد ، والطبائع والنقض على القائلين بها والاجتهاد ، والإنسان ، ولد سنة ٢٧٧ هـ وتوفى سنة ٣٢١هـ ببغداد . انظر : فرق طبقات المعتزلة ، القاضى عبد الجبار ، (١ / ١٠٠)

(٢) ابن حزم ، الفصل ، جـ ٤ ، صـ ٢٠٠

(٣) أبو الحسن الأشعري (٢٦٠هـ - ٣٢٤هـ = ٨٧٤م - ٩٣٦م) من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، وهو المناظر الأول لمواقف أهل السنة وإليه تنسب الأشعرية، كان من كبار الأئمة المجتهدين والمجددين الذين حافظوا على عقيدة المسلمين واضحة نقيَّة، وتبعه جماهير العلماء على مرِّ العصور حتى يومنا الحاضر. كان في أول حياته على مذهب الاعتزال، ثم تراجع بعد ذلك، وتبرَّأ من الأقوال التي كان يقولها المعتزلة، وأصبح أهل السنة ينتسبون إليه، حتى لقب بإمام أهل السنة والجماعة. وقد اشتهر بقوة الجدال والمناظرة بجانب محافظته على النقل. وبجانب براعته في علم الكلام كان أيضاً فقيهاً وعالماً ومحدثاً، يميل كثيراً إلى حياة الزهد والبساطة، وكان متصوفاً في أغلب سلوكه. وقد بلغت مؤلفاته نحو مائتي كتاب. وقيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب. انظر : طبقات الشافعية ، للعلامة الإسنوى ، جـ ١ ، ٧٢ ، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٤٦

تحدث فيه الباقلانى – رحمه الله – عن مباحث تتعلق بالقرآن الكريم مثل الحديث عن الأحرف السبعة ، والتكرار وفوائده ، وقصة الغرانيق وما قيل عنها ، والرد على القائلين بالصدفة إلى آخر تلك المباحث ، وقد نقل منه العلامة ابن حزم فى " الفصْل " فى الجزء الرابع صفحات ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، وكتابه " إعجاز القرآن " ورسالة " الحرة " وهى رسالة فى علم الكلام ، وقد أوردها ابن حزم فى " الفصل " (٤ / ٢١٦) ، وكذلك كتاب " الأصول " لابن فُورك[1](ت ١٤٦هـ)، وهو كتاب فى علم الكلام على مذهب الأشاعرة . **ومن الكتب التي كانت أهم المصادر عنده :**

١- تاريخ خليفة بن خياط (١٦٠-٢٤٠هـ) برواية بقى بن مخلد(٢٠١ – ٢٧٦هـ) .

٢- تاريخ ابن خثيمة (٢٧٩هـ) – رحمه الله – .

٣- سيرة ابن إسحاق (٨٥- ١٥١هـ) – رحمه الله – .

٤- مغازى موسى بن عقبة (١٤١هـ) – رحمه الله – .

٥- " أعلام النبوة "لأبى داود السجستانى (٢٠٢- ٢٧٥ هـ) – رحمه الله – .

٦- " الأصنام " لابن الكلبي (٢٠٤هـ) – رحمه الله – .

٧- تاريخ الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ) – رحمه الله – .

٨- " أخبار مصر " للموصلى (٥٩٩- ٦٨٣هـ) – رحمه الله – .

٩- " الأغاني " للأصفهانى(ت ٣٥٦ هـ) المعرب من أخبار المغرب .

---

(١) أبو بكر بن فُورَك (ضبطها ابن خلكان والسيوطي وابن العماد وغيرهم بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء، أما الزبيدي فقد ضبطها بضم الفاء وفتحها) هو الإمام المتكلم المفسر الفقيه الأصولي النحوي الأديب أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني الشافعي الأشعري، له ما يقرب من المائة مؤلف في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن وعلم الحديث. اعتبره ابن الأثير من المجددين في الإسلام. توفى سنة ست وأربع مائة ، انظر : الإمام الصفدى ، الوافى بالوفيات (٣ / ٣٤٤) ، ط / دار إحياء التراث العربى ، سنة النشر ٢٠٠٠ م .

القسم الثاني : مصادر خاصة غير مباشرة

وإلى جانب هذه الكتب والمصادر المباشرة والتي كانت مصدرًا رئيسًا للإمام ، فإن هناك مصادر أخرى استقى منها مادته في مصنفاته ، ومن أبرز هذه المصادر ما يمكن أن أسميه : " بالمصادر الخاصة " وأعنى بها أصحاب النزعات والأفكار ، والذين جادلهم ، وسجل آرائهم فى كتبه ، ومن هؤلاء :

أولاً : الأشخاص

من هؤلاء الأشخاص الذين تأثر بهم العلامة ابن حزم وكانوا مصدرًا له فى مؤلفاته:

١- الإمام سليمان بن خلف الباجى (٤٠٣- ٤٧٤هـ).

٢- عبد الله بن خلف بن مروان الأنصاري .

٣- [محمد بن على بن أبى الحسين الطبيب (وهو يقول بخلود النفس والزمان) .

وقد أورده الإمام عند كلامه على براهين حدوث العالم ، وأن من دلائل ذلك أنه لا سبيل إلى وجود ثانٍ إلا بعد أول ،...)][1] .

٤- محمد بن عيسى الصوفي الأبيرى من المجسدين

وكانت مناظراته مع كثير من علماء اليهود مثل : (إسماعيل بن يوسف اليهودى (ابن النغريلة) – إسماعيل بن يونس الطبيب اليهودى – إسماعيل بن القراد الطبيب اليهودي) .

ومناظراته مع أصحاب الفرق مثل :- (أبو الحسن الطرابلسى من المعتزلة – ثابت بن محمد الجرجانى الملحد – خويز منداد المالكى) .

(١) الإمام ابن حزم ، الفصل ، (١ / ١٥) .

وغير هؤلاء كثيرون جادلهم العلامة ابن حزم ممن وردت أسماؤهم فى مؤلفاته ، بغية الوصول لإظهار الحق وإعلاء كلمته .

ثانياً : الأخبار والشائعات

وأعنى بهذه الأخبار هى التى بلغت حد التواتر أو الرواية التى تأتى من طريق ثقة أمين فى النقل ، وهو كثير جدًا فى كتبه لذلك نجد بين طيات مصنفاته قوله : " بلغنا " أو " أخبرنا " ، أو " أخبرنى" ويكثر من قوله : " وبلغنا عن قوم من المسلمين " ، " حكاية لم أزل أسمعها " ، " حدثنى ثقة من إخوانى "[١] **ويقول فى موضعٍ آخر** : " بلغنا عن بعض من يصدر لنشر العلم من زماننا ... "[٢] **ويقول أيضًا فى موضع آخر** عند حديثه عن شنيع ما قالت المرجئة : " وقال بعض الكرّامية : المنافقون مؤمنون من أهل الجنة ... "[٣] **وقال فى موضعٍ آخر** : (وذكر لى سليمان بن خلف الباجى وهو من رءوس الأشعرية أن فيهم من يقول أيضًا إن الكذب فى البلاغ أيضًا جائز من الأنبياء والرسل – عليهم السلام)[٤] .

ويقول أيضًا : [حدثنى الفقيه أبو أحمد المعافرى الطليطلى صاحبنا أحسن الله ذكره ، قال أخبرنى يحيى بن أحمد الطبيب قال : إن جدى كان يقول : " إن العرش هو المدبر للعالم ، وأن الله تعالى أجلّ من أن يوصف بفعل شىء أصلًا "[٥] ، وهذا كلام لا شك أنه عارٍ من الصحة .

ثالثاً : الرؤية والمشاهدة

---

(١) الإمام ابن حزم ، الفصل ، ١ / ٢١٥)
(٢) المرجع السابق ، (٢ / ١٢٥)
(٣) المرجع السابق ، (١/ ١٤٤)
(٤) المرجع السابق ، (١ / ٢٢٢)
(٥) المرجع السابق ، (٤ / ١٩٩)

ومصنفات الإمام ابن حزم اعتمدت اعتمادًا كبيرًا على رؤيته للأحداث السياسية والاجتماعية فى بلاد الأندلس ، بل عاش العلامة ابن حزم فى قلب الأزمات والثورات، وشاهد سقوط الدولة الأموية ، وشاهد عصر ملوك الطوائف ، وما وصل إليه الحال من تدهور سياسى شديد ، فكان معتمدًا على الرؤية والمشاهدة فى كتابة مصنفاته على ما رأته عيناه من تقلبات وأحداث ، وكان بذلك شاهد عصر على ما رأت عيناه .

[ولا شك فى أن هذا المصدر من أوثق المصادر إذا كان الراوي عدلًا أمينًا ، وتراث الإمام ابن حزم التاريخي يعتمد كثيرًا على هذا المصدر ، سواءً منه ما يتعلق بسيرة الإمام ابن حزم الذاتية أو ما يتعلق بأوضاع سياسية واجتماعية عاصرها][1] .

(١) الإمام ابن حزم ، طوق الحمامة ، صـ ٣٦ : ١٣٨ وغيرها .

المبحث الثالث

الأصول المنهجية العقلية عند ابن حزم

المطلب الأول : المدارس الفلسفية

امتازت حضارة العرب في الأندلس بميلها الشديد إلى العناية بالآداب والعلوم والفنون ، فأنشأوا المدارس والمكتبات في كل ناحية وترجموا الكتب المختلفة ، ودرسوا العلوم الرياضية والفلكية والطبيعية والكيميائية والطبية بنجاح .

وعني العرب في الأندلس بالدراسات الفلسفية ، فنقلوا إلى الغرب فلسفة اليونان وما أضافوا إليها ، وكانت من أكبر مشكلاتهم الفلسفية محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة ، وأكبر فلاسفتهم ابن رشد – رحمه الله – (٥٢٠ – ٥٩٥ هـ) المشهور بشروحه لفلسفة أرسطو، وقد أثرت تأثيراً قوياً في أوربا ، وأشهر كتبه كتاب : (تهافت التهافت) رد به على الإمام الغزالي – رحمه الله – في كتابه (تهافت الفلاسفة).

وجاء المعترضون على فلسفة أرسطو فلم يقر أحد منهم بصواب أفكاره ، بل ولم يقر أحد لهم بصواب ما فعلوه ، وإنما كانت آراؤهم هي الأخرى ، مثار جدل واعتراض وتجريح ونقض .

(وسارت الأمور على هذا النسق بعد أرسطو ، كلما جاءت أمة لعنت أختها ، وكلما نشأت مدرسة حملت على سابقتها ، بل حملت على كل من سبقها)[1] .

وأخذ المسلمون يختلفون بعد اتفاقهم ، ويتفرقون بعد تجمعهم .

ولا حظ الإمام الشافعي كل ذلك ، وأدرك بفكره الثاقب السر ، فقال كلمته الحكيمة العميقة :

(١) د / عبد الحليم محمود / الاسلام والعقل ، صـ ٤٥ ، الطبعة الرابعة ، ط / دار المعارف

[ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس][1] .

ولسان أرسطو الذي يعنيه الشافعي إنما هو الفكر اليوناني في " المنطق " وفى " ما وراء الطبيعة " وفى " الأخلاق " .

ولقد بدأ الإسلام بعيدًا عن هذا اللسان البشرى لأنه وحى إلهي واستمر المسلمون عشرات السنين لا يعرفون إلا الوحي المنزل ، ولا يصدرون إلا عنه .

قال السيوطي – رحمه الله – معلقاً على كلام الإمام الشافعي – رحمهما الله تعالى–:

[ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح يونان ، ولكل قوم لغة واصطلاح.

وقد قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ....(٤) } **سورة نبي الله إبراهيم** ، فمن عدل عن لسان الشرع إلى لسان غيره ، وخرج الوارد من نصوص الشرع عليه ، جهل وضل ولم يُصب القصد][2] ، ومن فلاسفة الأندلس أيضاً ابن باجه[3] ، وابن طفيل[1] صاحب قصة حي بن يقظان التي ترجمت إلى اللاتينية والهولندية ونقلت إلى أكثر اللغات الأوربية.

---

(١) المرجع السابق ، صـ ٤٢

(٢) الإمام السيوطى ، صون المنطق والكلام ، صـ ١٥

(٣) ابن باجه (٥٣٣ هـ = ١١٣٩ م) محمد بن يحيى بن باجه ، وقد يعرف بابن الصائغ، أبو بكر التجيبى الأندلسي السرقسطى: من فلاسفة الإسلام ينسب إلى التعطيل ومذهب الحكماء. ولد في سرقسطة، واستوزره أبو بكر بن إبراهيم والي غزناطة ثم سرقسطة. وذهب إلى فاس فاتهم بالإلحاد، ومات فيها، قيل: مسموما، قبل سن الكهولة. حمل عليه الفتح بن خاقان (في قلائد العقيان) حملة شديدة. وكان مع اشتغاله بالفلسفة والطبيعيات والفلك والطب والموسيقى، شاعراً مجيدا، عارفا بالأنساب. شرح كثيرا من كتب أرسطاطاليس وصنف كتبا ذكرها ابن أبى أصيبعة (في طبقات الأطباء) ضاع أكثرها وبقى ما ترجم منها إلى اللاتينية والعبرية. ومما بقي من كتبه (مجموعة في الفلسفة والطب والطبيعيات) رسالة الوداع - ط) مع رسالتين من تأليفه، هما (اتصال العقل) و (النبات) وكتاب (النفس) و (تعليق على كتاب العبارة للفارأبي) من إملائه، و(

وبذلك تكون الفلسفة هي إحدى المصادر الهامة للعلامة ابن حزم ، وأستطيع بعد ذلك أن أجمل ملامح الفلسفة كمصدر هام من المصادر الأصلية في حياته العلمية في خطوات معدودة :

١- اعتبار العقل عرضًا من أعراض النفس وليس جوهرًا مما شغله بتجديد العقلانية .

٢- ممارسة النقد والتحليل في فهم الكليات ، وعدم الإقرار بعقول كلية أو مصادر للمعرفة غير الأوائل الحسية والعقلية .

٣- الاهتمام بكيفية الإقرار بمقدمات يقينية ، لا يرقى إليها الشك ، وعدم الاكتفاء بآلية البرهان أساسًا للصدق مما دفعه إلى تحديد شروط التحقق من صدق المقدمات سواءً كانت أوائل (حسية وعقلية) أم تجريبية أم إخبارية (شفوية ونصية) .

هذه هي أبرز الأصول التي جعلت الإمام ابن حزم ينحو منحى مختلفًا في الفكر الفلسفي .

تعليق على كتاب الفارابى في القياس) من تأليفه كلاهما في دار الكتب، مصوران عن الاسكوريال (٦١٤ / ٤ و ٢١٢ / ٥) كما في المخطوطات المصورة (١: ٢٠٣) انظر الزركلى ، الوافى بالوفيات (٤ / ٣٧)

(١) ابن طفيل (٤٩٤ - ٥٨١ هـ = ١١٠٠ - ١١٨٥ م)

محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، أبو بكر: فيلسوف.ولد في وادي آش وتعلم الطب في غرناطة، وخدم حاكمها. ثم أصبح طبيبا للسلطان أبي يعقوب يوسف (من الموحدين) سنة ٥٥٨هـ واستمر إلى أن توفي بمراكش، وحضر السلطان جنازته.وهو صاحب القصة الفلسفية (حي بن يقظان - ط) قال المراكشي في المعجب: رأيت له تصانيف في أنواع الفلسفة من الطبيعيات والإلهيات وغير ذلك، ورأيت بخطه رسالة له في (النفس) وكان أمير المؤمنين أبو يعقوب شديد الشغف به والحب له، يقيم عنده ابن طفيل أياما، ليلا ونهارا، لا يظهر .وله (رجز في الطب) في أكثر من ٧٧٠٠ بيت، رأيته في خزانة القرويين بفاس (الرقم ٣١٥٨) وله شعر جيد أورد المراكشي نماذج منه.وكانت بينه وبين ابن رشد (الفيلسوف) مراجعات ومباحث، في (رسم الدواء) جمعها ابن رشد في كتاب. وللباحث الفرنسي ليون غوتيه كتاب في حياته وآثاره، بالفرنسية . انظر الزركلى ، الوافى بالوفيات (٦ / ٢٣٣) .

المطلب الثاني
حركة الترجمة في الأندلس

كانت نتيجة حركة الترجمة التي تمت في العصر العباسي تعرف المسلمون على منطق أرسطو ، وهو منهج البحث لدى الإغريق ، وضعه أرسطو معيارًا للعلوم ، وقد أعجب به المسلمون كثيرًا باعتباره " العلم الذي تعصم مراعاته الذهن عن الخطأ في التفكير " وأسرعوا باستخدامه في مجالات كثيرة ، مثل علم الكلام ، والنحو ، والبلاغة ، الخ ...(ولكن بعض المسلمين تنبهوا لعيوبه فهاجموه ، وبينوا – قبل عصر النهضة الأوربية – أنه لا ينفع الذكي ولا ينتفع به البليد)[١] .

لكن تأثير منطق أرسطو على الرغم من بعض التحذيرات كان بالغًا في العالم الإسلامي ، وخاصة ابتداءً من القرن الرابع الهجري .

ولا شك في أنه أفاد كثيرًا في دفع عمليات التصنيف ، والتقسيم ، والتفريع ، والتعريف التي نجدها واضحة في مختلف العلوم الإسلامية .[لكن عيوبه تمثلت في إغلاق منافذ التفكير الإبداعي المستمر في ذلك العلوم .

فبسبب منطق أرسطو وقفت البلاغة العربية (وهى المقياس الحساس للأدب) هيكلًا عظميًا بدون روح ، واكتفى الدارسون فيها بشبكة هائلة من التعريفات والتقسيمات (التي استخدمت أحياناً أمثلة مصنوعة) لكي تستجيب تمامًا للمنهج الأرسطي ، الذي يهمه " شكل " القاعدة أكثر من اهتمامه بالأمثلة الواقعية لها .

ومن المعروف أن تأثير أرسطو الواضح في " علم الكلام " هو الذي أبعد هذا العلم عن هدفه الحقيقي ، وجره إلى مناقشات جدلية طويلة حول أمور تجريدية بحته][٢] .

---

(١) ابن تيمية ، الرد على المنطقيين ، ط / دار المعرفة – بيروت ، بدون تاريخ للطبعة .
(٢) د / حامد طاهر ، مدخل لدراسة الفلسفة ، ، صـ ٩٦ : ١٠٠ ، ط / القاهرة ، سنة الطبع ١٩٨٥م .

(بل إن علمًا آخر مثل " علم أصول الفقه " لم ينج أيضاً من هذا التأثير ، وخاصة في المؤلفات المتأخرة منه ، حيث وجد أصحابها من المفيد أن يضعوا في مقدمتها جزءً من منطق أرسطو)[1] .

ومع ذلك فإن المسلمين في مجال العلوم التجريبية ، كالفلك والطب والكيمياء ، لم يخضعوا دائمًا لمنطق أرسطو ، (فقد ثبت أنهم استخدموا منهج الملاحظة والتجربة ، وهو المنهج الذي أدى فيما بعد إلى الانقلاب الحاسم في تاريخ أوربا الحديث ، ويكفى أن نقرأ مقدمة كتاب " المناظر " لابن الهيثم (٣٥٤ – ٤٣٠ هـ) لنقف على وصفٍ دقيقٍ للغاية ، للمنهج التجريبي لدى المسلمين وأهم خطواته .)[2] .

وقد سبق العرب فلاسفة الغرب في الاتصال بالفلسفة اليونانية ، وقد تم ذلك في عهد الخليفة المأمون العباسي في القرن التاسع الميلادي ، بينما بدأ هذا الاتصال عند الغرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلادي ، معتمدين على ما خلفه الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام .

قويت في عهد المأمون (١٧٠ – ٢١٨ هـ) حركة النقل والترجمة من اللغات الأجنبية – وخاصة من اليونانية والفارسية – إلى العربية – فأرسل البعوث إلى القسطنطينية لإحضار المصنفات الفريدة في الفلسفة والطب والعلوم التطبيقية والموسيقي .

ولم تكد تلك الذخائر النفيسة تصل إلى بغداد حتى عهد المأمون إلى جماعة من العلماء – منهم "حنين بن إسحاق" (١٩٤-٢٦٤هـ) (٨٠٩-٨٧٧م) و"الحجاج بن نصر" و"ابن البطريق" (ت ١٨٤هـ – ٨٠٠م) ، و" قسطا بن لوقا " البعلبكي (ت ٣٠٠هـ – ٩١٢م) و" ثابت بن قرة " المتوفى عام (٢٨٨هـ –٩٠٠م) ، وهم يشكلون

(١) الأستاذ الدكتور / إبراهيم مدكور ، المنهج الأرسطى والعلوم الكلامية والفقهية فى الاسلام ، ، وهو مقال ترجمه د / حامد طاهر ، فى مجلة الثقافة ، سنة ١٩٧٩ م .
(٢) د / النشار ، مناهج البحث لدى مفكرى الإسلام ، صـ ١١٤ ، الطبعة الثانية ، الاسكندرية ، سنة الطبع ١٩٦٥ م .

المرحلة الأكثر تألقًا في حركة الترجمة العربية ، وكان " قسطا بن لوقا " يشرف على الترجمة من اللغات اليونانية والسريانية والكلدانية إلى العربية ، كما كان " يحيى بن هارون " يشرف على الترجمة من الفارسية القديمة .

أما " يحيى بن البطريق " فقد كان يهتم بكل كلمة يونانية ودلالتها ، ثم يقدم الكلمة العربية المقابلة لها بالمعنى ويترجمها ، ثم يأخذ كلمة أخرى وهكذا تنتهي الترجمة.

وتعتبر هذه الترجمة رديئة ، حيث أن الكلمات اليونانية ليس لها كلها مقابل بالعربية وهكذا تبقى كلمات يونانية في اللغة العربية.

وقد نقل " قسطا " كتبًا كثيرة من اليونانية إلى العربية، واشتهر بحسن النقل فصيحًا باللسان العربي واليوناني والسرياني ، ويشير "ماكس مايرهوف" (ت ١٩٤٥ م) إلى ما نقله " قسطا " ، أنه ترجم الكثير من المؤلفات الطبية والرياضية والفلكية كما ترجم إلى جانبها مؤلفات فلسفية نذكر منها :

كتاب في " أوجاع النقرس " ، كتاب في " الروائح وعللها " ، كتاب في " النبض ومعرفة الحميات " ، كتاب في " الأخلاط الأربعة " ، كتاب في " الكبد وما يعرض فيها من الأمراض " ، كتاب في " الأغذية " ، كتاب في " دفع ضرر السموم " ، كتاب في " المدخل إلى علم الهندسة "، كتاب في " النوم والرؤيا " ، كتاب في " الدم "، كتاب في " الفرق بين النفس والروح " ، كتاب في شكل " الكرة الاسطوانية " ، كتاب في " الهيئة وتركيب الأفلاك " ، كتاب في " الجبر والمقابلة " ، كتاب في " الأوزان والمكاييل " ، كتاب " المدخل إلى المنطق" وغيرها.

وقد نقل إليها المأمون كتب الفلاسفة من جزيرة " قبرص" ، إذ إنه عندما هادن صاحب تلك الجزيرة أرسل إليه يطلب كتب اليونان ، ويقال أن المأمون اغتبط بهذه الكتب أيما اغتباط ، وقد خصص في المكتبة خزانة خاصة لكتبه ، كما خصص

خزانة لكتب **والده الرشيد** (١٤٩ – ١٩٣هـ) كما طلب كتبًا من ملك الروم ، الذي أرسل إليه الكثير من الكتب.

وقد صنفت كتب هذه المكتبة حسب موضوعاتها واختار لها المأمون المترجمين ممن لهم خبرة علمية بالموضوع إلى جانب إتقان اللغة المنقولة منها ، وكان من هذه الكتب كتاب "كلوديوس بطليموس" (١٢٧-١٨٠م) في الجغرافيا السماوية فأمر المأمون بترجمته ، وقام بترجمته " ثابت بن قرة "(٢٢١ – ٢٨٨هـ) حيث نجح "بطليموس" في التدليل على أن الأرض ثابتة وهي مركز الكون.

وهو من كبار علماء الفلك اليونان الذين استقروا بالإسكندرية تحت حكم الرومان ، ويقال أن المأمون نقل إلى بغداد من الكتب اليونانية المكتوبة بالقلم ما يثقل مائة بعير.

وعليه فإن جميع النهضات العلمية العربية إنما هي فروع للأصل الذي أنبته المأمون ، وأن ما جرى في عهده من ترجمات للتراث اليوناني يُعتَبَر مضرب الأمثال في كل زمان .

والمأثور عن المأمون رحمه الله أنه كان يقدر العلماء سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ، فقد رُوِيَ أنه أكرم " يوحنا البطريق " – وكان أمينًا على ترجمة الكتب القديمة ، كما رفع منزلة "سهل بن سابور" وابنه "سابور". **أقول** : نشأت الفلسفة في اليونان لأن الدين اليوناني لم يكن له من الثبات واليقين ومن القوة والسيطرة ومن التمكن في النفوس ، والتغلغل في الأرواح ، ما يجعل الناس يطمئنون إليه ويستسلمون، [فيما يختص بالعقيدة أو الإيمان بما وراء الطبيعة ، وفيما يختص بالأخلاق أو بتحديد الخبر .

والظاهرة الملاحظة في كل الأوساط على مر التاريخ : أنه كلما كان الدين يقينًا ثابتًا ، وكلما كان الإيمان قويًا مسيطرًا ، قل النزوع إلى الفلسفة وقل البحث العقلي في مجالات الغيب][1] .

يقول الأستاذ الدكتور / محمد غلاب – رحمه الله – أستاذ الفلسفة بجامعة الأزهر : [ولقد وفق علماء المسلمين من الفلاسفة إلى الرد على فلسفة أرسطو ومنطقه ، وردوا عليهم مذهبهم كـ (ابن سينا[2] والفارابي[3] والغزالي وابن حزم) – رحمهم الله جميعًا – وأمثالهم ، وكان الهدف من وراء ذلك غايتين :

الأولى : القضاء على كبرياء العقل البشرى وثقته بنفسه ، وهذا لا يتم إلا بمهاجمة الفلاسفة وتحطيم آرائهم ومذاهبهم بعد إثبات خطئها أو ضعفها على الأقل .

الغاية الثانية : هي بعث الروح الدينية من مرقدها بعد أن طغى عليها سلطان العقل الذي مكنته الفلسفة الإغريقية من التباهي بعظمته وجبروته .][4] .

---

(١) للراحل د / عبد الحليم محمود ، الاسلام والعقل ، ، صـ ٤٢ ، الطبعة الرابعة ، ط / دار المعارف

(٢) الرئيس ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ = ٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات. أصله من بلخ ، ومولده في إحدى قرى بخارى. ونشأ وتعلم في بخارى ، وطاف البلاد ، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتوارى. ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه. وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها. انظر ابن خلكان وفيات الأعيان (١ / ١٥٢)

(٣) الفارابي (٢٦٠ ـ ٣٣٩ هـ = ٨٧٤ ـ ٩٥٠ م) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ ، أبو نصر الفارابي ، ويعرف بالمعلم الثاني : أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، مستعرب. ولد في فاراب (على نهر جيحون) وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام ، واتصل بسيف الدولة ابن حمدان ، وتوفي بدمشق. كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. انظر / زكى نجيب محمود ، الفارابى المعلم الثانى ، صـ ١٤ ، طبعة ١٩٧٢ م – بيروت .

(٤) د / محمد غلاب ـ الكلام والمتكلمون ، صـ ٨٥ ، مجلة الأزهر ، العدد شهر شعبان ، سنة ١٤٣١هـ.

أما الحافظ ابن حزم فقد اطلع على كتب الفلاسفة ، واستطاع أن يحصل منها قسطًا وافرًا رغبةً منه في خدمة دينه والدفاع عن عقيدته ضد الفلاسفة والملحدين ، وهذا ما جعله يقرب هذا العلم بتبسيط مسائله ، وشرح غوامضه في كتابه الماتع : " التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ والأمثلة الفقهية " ، وكان لدراسته هذه العلوم أثرٌ بالغٌ في تقوية حجته ، وبلاغة منطقه في المناظرة والجدال

مصادر ابن حزم في دراسة المنطق

١- " أبو بشر متى "(ت ٣٢٨ هـ – ٩٣٩ م)

أكدت الأبحاث أن " أبو بشر متى " المنطقي الترجمان هو أحد المصادر التي استقى منها الإمام روافده ، واستفاد كثيرًا منه في علوم المنطق .

٢- الإمام " الجرجاني " (٤٠٠ – ٤٧١هـ)

وهما الأستاذان المباشران للإمام ابن حزم – رحمه الله – .

(حيث ذكر " ابن تيمية " – رحمه الله – ، ولتعظيمه – يقصد ابن حزم – المنطق رواه بإسناده إلى " متى " الترجمان الذي ترجمه إلى العربية .)[١]

أقول : لعل ظروف الحياة والبيئة والعوامل السياسية جعلت العلامة ابن حزم يقرأ ويدرس المنطق والفلسفة من الواقع الذي عايشه بمعطياته الفكرية في ضوء الماضي ، ليتحرى مدى مطابقة هذا الواقع لذاك الماضي ، لذلك يقر بتلك المصادر اليونانية ويقر بفائدتها في فهم الشريعة والحياة فنجده يفرغها من مضمونها اليوناني – إيمانًا منه بمنطق إنساني لا يعرف قيودًا عرقية أو جغرافية أو لغوية – ويوظفها توظيفًا جديدًا ضمن السياق الفكري .

(١) الإمام ابن تيمية ، الرد على المنطقيين ، جـ ١ ، صـ ١٣٢ ، ت / محمد عبد الستار نصار ، ط / مكتبة الأزهر الدراسة القاهرة .

وقد استخدم الإمام ابن حزم علم المنطق في تأليفه في علم أصول الفقه ، وتعلم كيفية إقامة البراهين على رد الفروع إلى الأصول ، وتصحيح اعوجاج الآراء الفاسدة التي حصلها أصحابها نتيجة التقليد دون تمحيص ، فالمنطق – برأي الإمام ابن حزم – ضروري في فهم علوم الدين ومعيار كل علم إذ يقول : **[** إنا لما تدبرنا أمر طائفتين ممن شاهدنا في زماننا هذا ووجدهما قد تفاقم الداء بهما **فأما إحداهما** : فقوم افتتحوا عنفوان فهمهم وابتدأوا دخولهم إلى المعارف بطلب علم العدد ونزواته وطبائعه.

وأما الطائفة الثانية : فهم قوم ابتدأوا الطلب لحديث النبي – صلى الله عليه وسلم – فلم يزيدوا على طلب علو الإسناد وجمع الغرائب دون أن يهتموا بشيء مما كتبوا ... ثم زادت هذه الطائفة الثانية غلواً في الجنون فعابوا كتبنا لا علم لهم بها ولا طالعوها ولا رأوا منها كلمة ولا قرؤوها ولا أخبرهم عما فيها ثقة كالكتب التي فيها هيئة الأفلاك ومجاري النجوم والكتب التي جمعها أرسطاطاليس في حدود الكلام .

ويؤكد الإمام ابن حزم على منفعتها في علوم الدين فيقول : (وهذه الكتب كلها كتب سالمة مفيدة دالة على توحيد الله – عز وجل – وقدرته عظيمة المنفعة في انتقاد جميع العلوم وعظم منفعة الكتب التي ذكرنا في الحدود ففي مسائل الأحكام الشرعية بها يتعرف كيف التوصل إلى الاستنباط وكيف تؤخذ الألفاظ على مقتضاها ، وكيف يعرف الخاص من العام ، والمجمل من المفسر ، وبناء الألفاظ بعضها على بعض ؟ وكيفية تقديم المقدمات وإنتاج النتائج ؟ وما يصح من ذلك صحة ضرورية أبداً وما يصح مرة وما يبطل أخرى وما لا يصح البتة ؟ وضرب الحدود التي من شذ عنها كان خارجاً عن أصله ودليل الخطاب ودليل الاستقراء ، وغير ذلك مما لا غناء بالفقيه المجتهد لنفسه ولأهل ملته عنه)[1] .

(١) ابن حزم ، الفصل ، جـ ٢ ، صـ٩٥ .

وينبغي أن أنبه هنا إلى أمر أخر ، وهو أن الإمام ابن حزم لم يتبنَّ دراسة هذه العلوم من باب الدوافع الدينية والدفاع عن عقيدته فحسب ، بل كانت له دوافع جدلية حيث التقلبات السياسية وأثرها الواضح على الحياة الفكرية والعلمية ، علاوة على ذلك محاولات اليهود والنصارى للنيل من عقيدة المسلمين بوساطة التشكيك في العقيدة .

إضافة إلى آراء ومواقف من انتهجوا الإتباع والتقليد وما نتج عنه من عداوة لعلوم الأوائل .

كل ذلك كان بمثابة دفعةٍ قويةٍ لدى الإمام لأن يتسلح بسلاح المنطق والفلسفة ليواجه المتهجمين على الإسلام بسلاحهم نفسه ، وأن يبصر الآخرين بأساليب البرهان ووضع التحديدات الدقيقة للعديد من المصطلحات والمفاهيم التي لحق بها الاضطراب والغموض بسبب توظيف الألفاظ في غير ما تقتضيه معناها ، فكان الانزلاق في متاهات التقليد ، وتبرير المواقف غير الشرعية دون سندٍ نقليٍ أو إجماعٍ متيقنٍ أو دليلٍ عقليٍ يرجع إلى مقدماتٍ موثوق بها .

يستفاد مما سبق : أن العلامة ابن حزم جعل علوم اليونان مصدرًا من مصادره الخاصة ، بل جعل منها منهجًا يستخدمه في مناظراته ومجادلاته ، ووقف من الفلسفة والمنطق موقف المؤيد والمناهض للذين هاجموا هذه العلوم ، متهمٌ لهم بالشغب لأنهم يحكمون بغير علمٍ ، ويرفضون المنطق عن جهلٍ بمسائله وقوانينه ، فكان اهتمام الإمام بالمنطق والفلسفة له أسبابه ودوافعه متمثلة في دوافع دينيةٍ أصوليةٍ إذ إن دراسة المنطق تساعد على فهم الكتاب والسنة واستنباط الأحكام ، كما أن العلم بمسائله وقواعد البرهان منه يعين الفقيه على التمييز بين صحيح الآراء من فاسدها ، وأخرى دوافع جدلية وهى وثيقة الصلة بالأولى ، إذ ينبغي على الفقيه أو المتكلم أن يتسلح بالمنطق والفلسفة في مواجهة أعداء العقيدة وهذا بدوره يتطلب أن يتعرف المتكلم والفقيه على أساليب البرهان.

الخاتمة

بعد هذه الجولة الشيقة ، والرحلة الممتعة ، مع موضوع حيوي من موضوعات مناهج البحث ، فإنه يجدر بنا أن نسجل

أولاً : أهم النتائج التي تم التوصل إليها :

١- وضح لنا الإمام ابن حزم مدى وعيه ، وسعة إدراكه للمصادر العلمية ، حيث اتخذ من ذلك مدخلاً أساسياً لعرض وجهات النظر عند علماء المسلمين ، وفي الصورة التي قدمناها نرى الجهود الطيبة لهذا المفكر الذي حاول حل هذه المسائل بالاعتماد على تلك المصادر وجعلها وسيلة من وسائل النقل .

٢- أهمية المصادر النقلية والعقلية التي اعتمد عليها العلامة ابن حزم فى جميع تصانيفه .

٣- قام منهجه العلمي على نسق منهجي متكامل ، مع تعمقه فى دراسة المنطق والفلسفة ، بل وتصنيفه فيهما والأخذ منهما ليقوى حجته ويدحض شبهات خصومه .

٤- أكدت الدراسة أن الإمام ابن حزم كان له السبق والريادة فى علم مقارنة الأديان (وهو مجال إبداعى عنده) ، بل وضع له المناهج العلمية المناسبة له ليكون علماً متميزاً ، له قواعد خاصة .

٥- تميز الإمام بالأخذ بظاهر النصوص ، وهذا أمر محدود فى الأصل ، لكنه أسرف على نفسه فى ذلك حتى نفى القياس ، وترك التعليل .

٦- تميز أسلوبه بوضوح العبارة ، وسهولة المنطق ، والبعد عن التعقيد مع استرساله، وطول نفسه فى العرض والتوضيح ، مع حدة فى اللسان ، وقسوة فى الألفاظ والعبارات.

٧- اختياره للمذهب الظاهرى لم يكن اعتباطاً ، وإنما اختاره لتوافقه مع ميوله وفكره .

٨- يتسم نقده وجدله بالموضوعية والانصاف العلمى ، إذ إنه يأتى بأدلة الخصم كاملة ويعرضها فى أمانة شديدة ، ثم ينتقل فى نقده وجداله من مرحلة التفنيد والاثبات إلى مرحلة الإلزام والإفحام .

٩- يقوم منهجه العلمى على نسق منهجى متكامل ، لكنه قد يصل به إلى حد التعصب الذى قد يؤدى به إلى سب المخالف وشتمه ، بل وتفسيقه وتكفيره أيضاً .

ثانيا : توصيات الدراسة

وهى توصيات مقترحة ، عسى أن تتم الفائدة بها ، وتأتى هذه المقترحات على النحو التالى :

١- فتح المجال أمام الباحثين لدراسة جميع جوانب حياة الإمام ابن حزم العلمية والفكرية .

٢- فتح مركز أبحاث يتخصص بدراسة اليهودية والنصرانية ، والعقائد الوضعية الأخرى ، لرد الشبه الموجهه إلى الإسلام وإلى نبى الإسلام – صلى الله عليه وسلم – .

٣- طبع الأبحاث والدراسات التى تحدثت عن الإمام ابن حزم وحياته العلمية ، ومتابعة طبع مؤلفات الإمام الفقهية ، والسعي لاقامة ندوات دولية ثقافية وعلمية إضافة لترجمة مؤلفات الإمام إلى لغات أخرى ، على أن يتولى المتخصصون هذه المهمة ، مع إصدار كتاب يضم مؤلفات العلامة ابن حزم المطبوعة والمخطوطة وتعريفاً لكل منها ، بالإضافة إلى ترجمة بعض أعماله الإنسانية إلى اللغات الحية .

٤- إنشاء موقع على شبكة الانترنت باسم « **الإمام ابن حزم** » على أن تتولى الجامعة ذلك ، إلى جانب إحداث موقع آخر يتضمن دليلاً للباحثين والمهتمين بالدراسات التراثية العلمية والثقافية للعلامة ابن حزم .

أهم المراجع والمصادر

القرآن الكريم

أولاً : السنة المطهرة

١- الإمام البخاري ، صحيح البخارى ، ط / الايمان ، بدون تاريخ للطبعة .

٢- الإمام مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووى ، ط / المكتب الثقافى ، سنة ٢٠٠٠م .

٣- الإمام الدارقطنى ، سنن الدارقطنى ، ت / عادل أحمد عبد الموجود ، وآخرون ، ط / دار المعرفة بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م .

٤- الإمام أحمد ، (المسند) ، ط/ دار الحديث – القاهرة ، ت / العلامة / أحمد شاكر ، سنة ٢٠٠٥م

٥- سنن الإمام الترمذي – ط/ دار الحديث القاهرة ، طبعة عام ٢٠٠١م – ١٤٢١هـ .

٦- سنن أبي داود – ط/ دار الحديث القاهرة ، تاريخ الطبعة ٢٠٠١م _ ١٤٢٢هـ .

ثانياُ : أصول الفقه

١- ابن حزم / الإحكام ، ط/ دار الحديث ،ت / محمود حامد عثمان ، سنة الطبع ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م

٢- الإمام ابن حزم ، النبذ ، ت / الكوثرى ، ت: محمد أحمد عبد العزيز، ط : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ

٣- الإمام البيضاوى ، منهاج الوصول إلى علم الأصول ، ط / دار إحياء التراث ، سنة ١٤٠٥ هـ

٤- د / على جمعه ،الإجماع عند الاصوليين ،ط / علاء سرحان–الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٩م

٥- الإمام الشافعى ، الرسالة ، ط / دار الكتاب العربى ، ت / خالد السبع العلمى ، سنة الطبع ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

٦- الإمام الرازى ، المحصول فى علم أصول الفقه ، ت / عادل عبد الموجود وآخرون، ط / مكتبة نزار مصطفى – مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ، سنة الطبع ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م

ثالثاً : مناهج البحث والفكر

١- ابن حزم حياته وعصره وآراؤه الفقهية ، محمد أبو زهرة ، ط / دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة الطبع ١٩٥٤ م .

٢- د / محمود على حماية ، ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان ،الطبعة الأولى ،سنة الطبع ١٩٨٣ م

٣- ابن حزم ، رسائل ابن حزم ت: إحسان عباس ط: المؤسسة العربية للدراسات: بيروت – لبنان – الطبعة: ١، ١٩٨٠ م .

٤- د / الطاهر أحمد مكى ، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ط / دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٩٣ م .

٥- جورجى زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ط / مطبعة الهلال – مصر، سنة ١٩٠٢ م .

٦- د / عبد الحليم محمود / الإسلام والعقل ، الطبعة الرابعة ، ط / دار المعارف

٧- المؤلف خوليان ريبيرا ، التربية الإسلامية فى الأندلس ، ، ترجمة د / الطاهر أحمد مكى ، ط / دار المعارف ، الطبعة الثانية ١٩٩٤ م .

٨- د / حامد طاهر ، مدخل لدراسة الفلسفة ، ط / القاهرة ، سنة الطبع ١٩٨٥م.

٩- الأستاذ الدكتور / إبراهيم مدكور ، المنهج الأرسطي والعلوم الكلامية والفقهية فى الإسلام ، ، وهو مقال ترجمه د / حامد طاهر ، فى مجلة الثقافة ، سنة ١٩٧٩م.

١٠- د / النشار ، مناهج البحث لدى مفكري الإسلام ، الطبعة الثانية ، الإسكندرية ، سنة الطبع ١٩٦٥ م .

١١- زكى نجيب محمود ، الفارابى المعلم الثانى ، طبعة ١٩٧٢ م – بيروت .

١٢- د / محمد غلاب – الكلام والمتكلمون ، مجلة الأزهر ، العدد شهر شعبان ، سنة ١٤٣١هـ

١٣- الإمام ابن تيمية ،الرد على المنطقيين ، ت / محمد عبد الستار نصار ، ط / الأزهر الدراسة القاهرة

رابعاً : الأديان والتاريخ

١- الاحاطة ، لابن الخطيب ، ت / محمد عبد الله عنان ، ط / القاهرة ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥ م

٢- ابن حزم ، الفصل ، ط دار الحديث – القاهرة .

٣- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ت / إحسان عباس ، ط /دار الغرب الإسلامي ، ط ١٩٩٣ م

٤- الجاحظ ، الرد على النصارى ، الطبعة الثانية ، سنة الطبع ١٣٨٢ هـ ، المطبعة السلفية

٥- فرق طبقات المعتزلة ، القاضي عبد الجبار ، **الناشر** :منشورات المعهد الألماني للأبحاث

طبقات الشافعية ، للعلامة الإسنوى ، ت : كمال يوسف الحوت ،الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ٢٠٠٢ م

٦- الإمام الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ط / دار إحياء التراث العربي ، سنة النشر ٢٠٠٠ م

٧- الإمام ابن حزم ، طوق الحمامة ، ت / محمد ابراهيم سليم ، ط / مكتبة ابن سينا سنة ٢٠١٠م

٨- الإمام السيوطي ، صون المنطق والكلام ، ت / على سامى النشار، ط / مجمع البحوث الإسلامية ، سنة ١٩٧٠ م .

٩- الزركلى ، الوافى بالوفيات ، ت / أحمد الأرناؤوط ، ط / دار إحياء التراث العربى ، بدون ابن تيمية ، الرد على المنطقيين ، ط / دار المعرفة – بيروت ، بدون تاريخ للطبعة .

١٠- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ت / إحسان عباس ، الطبعة الاولى ١٩٩٤م.